سلسلة إصدارات ساعي العلمية (١٢)

مجالس الوقف

تأليف
عبدالله بن عبداللطيف الحميدي

١٤٤٠-٢٠١٨م

ⓒ دار مؤسسة ساعي لتطوير الأوقاف، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحميدي، عبدالله عبداللطيف

مجالس الوقف. / عبدالله عبداللطيف الحميدي -ط٣ - الرياض، ١٤٣٩هـ.

٢٠٦ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٨-٧٥٩٠-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- الوقف (فقه إسلامي) ٢-الوعظ والإرشاد أ-العنوان

ديوي ١٥٣,٩٠٢ ١٤٣٩/٩٩٣١

رقم الايداع: ١٤٣٩/٩٩٣١

ردمك: ٨-٧٥٩٠-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة للناشر

دار مؤسسة ساعي لتطوير الأوقاف للنشر -الرياض

الطبعة الثالثة: ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

لا تعبر الآراء والأفكار الواردة في هذه المادة بالضرورة عن وجهة نظر مؤسسة ساعي لتطوير الأوقاف ولا تُلزمها

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ وعلى وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد ...

فإن من فضل الله ﷻ على المسلم أن يوفق للعمل الصالح الذي يمتد أجره في حياته وبعد مماته؛ ومن ذلك الوقف على وجوه البر والإحسان.

وقد وفق الله ﷻ الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي إلى سنةٍ حسنةٍ؛ تمثلت في جعل الوقف عملًا مؤسسيًا؛ يضمن بإذن الله -تعالى- استدامة أصله وتنميته، مع استمرار الإنفاق منه على مصارفه. وقد استفادت أوقاف متعددة من تجربته؛ بل وطورتها بفضل الله ﷻ.

وبعد أن منَّ الله -تعالى- على وقف الشيخ بالتوسع تنمية وإنفاقًا وتنظيمًا؛ كان لا بد من توجيه جهد خاص للعناية بفقه الوقف وأحكامه وتطبيقاته، وحل مشكلاته. فكان إطلاق (مؤسسة ساعي لتطوير الأوقاف)؛ باعتبارها إحدى مبادرات وقف الشيخ؛ وهي مؤسسة مستقلة غير هادفة للربح، متخصصة في التطوير العلمي والمهني للوقف، ونشر ثقافته، وخدمة الواقفين والموقوف عليهم، والمسؤولين عن الوقف وذوي العلاقة به، وتقديم الحلول والتطبيقات المناسبة في الحاضر والمستقبل.

وتحقيقًا لهذه الأهداف؛ يسر المؤسسة أن تقدم للباحثين والمهتمين هذه المادة العلمية ضمن مشروعاتها في إعداد البحوث والكتب العلمية والرسائل الجامعية المتخصصة في الوقف ونشرها؛ راجين أن ينفع الله بها، وأن تكون للواقف ولأصحابها ولمن أسهم في نشرها من الأعمال التي يجري أجرها إلى يوم القيامة؛ كما في الحديث: "**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَةٍ: إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**". رواه مسلم (١٦٣١).

وكما في الحديث: "**إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ**". رواه ابن ماجه (٢٤٢) وحسنه الألباني.

مؤسسة ساعي لتطوير الأوقاف

السيرة الذاتية للمؤلف

المؤهلات العلمية:

- البكالوريوس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية –كلية الشريعة ١٤١٧هـ.
- الماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية –كلية العلوم الاجتماعية– قسم أصول تربية، ١٤٣٩هـ بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى.

أبرز الأعمال العلمية:

- كتاب "**مجالس الوقف**" (مطبوع)، وكتاب "**الوقف المصور**" (تحت الطباعة).
- "**المضامين التربوية المستنبطة من أحاديث الوقف وتطبيقاتها التربوية**" رسالة ماجستير.
- إعداد مبادرات ودراسات متخصصة في الوقف، مثل: "**تأهيل المستشار الوقفي**"، و"**الوقف على الإسكان ترابط شرعي وتاريخي وقانوني**"، و"**الوقف على التعليم العام في المملكة العربية السعودية**"، وقدمت لجهات رسمية وجهات مانحة.
- إعداد دراسة لتطبيق إلكتروني بعنوان "**مفحص**" ويهدف إتاحة تناقل الأوقاف الصغيرة المنقولة بين المساجد والجهات الخيرية.
- كتابة وتحرير بعض المقالات الدورية في المجلات والصحف المحلية.

الخبرات الوظيفية والمشاركات العلمية:

- عضو مجلس الإدارة بمركز واقف (خبراء الوصايا والأوقاف) وأمين المجلس، والمدير التنفيذي، ولمدة خمس سنوات من ١٤٣٤هـ حتى ١٤٣٨هـ.
- مستشار غير متفرغ في مؤسسة ساعي لتطوير الأوقاف (إحدى مبادرات أوقاف الشيخ سليمان الراجحي)، والمشرف على البوابة الإلكترونية للمؤسسة لمدة ستة أشهر عام ١٤٣٨هـ.
- عضو لجنة الوقف بمكتب الدعوة بحي الروضة لمدة سنتين من العام ١٤٣٢هـ حتى ١٤٣٤هـ.
- عضو لجنة نشر الثقافة الوقفية في المحاكم في وزارة العدل لمدة ستة أشهر عام ١٤٣٧هـ.
- عضو اللجنة الإشرافية على فرع جمعية البر بالروضة والجنادرية لمدة سنتين ١٤٢٦–١٤٢٧هـ

الرياض
حي الحمراء: ٠١١-٢٤٩٢٤٩٧ جوال: ٠٥٥٥٢٣٣٩٣٠
البريد الالكتروني:
a0555233930@gmail.com

إهـــــــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى أغلى من في الوجود

وأم الخير والجود

إلى الوالدة الغالية والأم الودود

باب الجنة المورود

موضي بنت إبراهيم بن عبدالرحمن الخيال

متعها الله بالصحة والعافية وأطال في عمرها

على حسن عمل وطاعة

عبدالله

لطائف الأوقاف

يـا باغيـــــًا للخـير والألـــطافِ ... هـــاك المجـالس من معين صافي
قـــد صغتها بقصيـــدة أرجـــو بِها ... غفـــران ذنبٍ ظـاهرٍ أو خافي
أخـــلصْ لـربكَ إن أردتَ قبـــولَه ... لا تاركًا للهـــدي أو متجـافي
وابذلْ لمـــالِك إن رجوتَ سعـــادةً ... فالأجـــر محفـــوفٌ بخيرِ قطافِ
واعـــرفْ لأحكامِ الوقـوفِ مـــدلّلًا ... مستنبطًا بالآي والألطـــــافِ
وافهمْ هُديتَ شـــروطَه وفروضَـــه ... أركـــانه أنواعـــــه يا وافي
واتبعْ سبيلَ محمـــدٍ في وقفـــــهِ ... صـــلى عليهِ اللهُ وهـو الكـافي
أصحابهُ من فضـلهمْ قـــد بـــادروا ... بالبذلِ والإقـــدامِ والإيقـــافِ
من بعـــدهم قـــام الأُلى بربوعهمْ ... يبنـــونها بالعدل والإنصـــافِ
رفعـــوا بيـــوتًا للإلهِ عظيمـــةً ... شادوا حضـارتنا بخير ثقـــاف
آووا مريضًا مقعـــدًا متحســـرًا ... حتى غـــدا من جـودهمْ متعافي
كَفلـــوا يتيمًا خـــائفًا متشـــردًا ... يشكـو مرارةَ فقدِ ذي الأعطافِ
وسعوا بخـــيرٍ للأرامـــل خِفْيـــةً ... بالسَـــقْيِ والإطعـامِ والإردافِ
جعلـــوا بيـــوتًا للمسـافرِ راحـةً ... تؤويـــه من خوفٍ ومن إرجافِ
حـــتى البهـــائم من جميلِ صنيعهمْ ... باتتْ مع الأوقـــافِ في ألطافِ
يا ربِ فارحـــمْ أمـــةً مكلومـــةً ... مهزوزةَ الأركـــانِ والأكنـــافِ
وامنـــحْ بفضلك عـــزةً ومكـــانةً ... للدين والدنيـــا بذي الأوقافِ

أبو عبداللطيف

٢٠ شعبان ١٤٣٧هـ

المقـــــدمة

المقـــدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهدِ الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

إن الوقف في سبيل الله تعالى قربة عظيمة وعمل صالح مبرور يتقرّب به العبد لمولاه، ويحسن فيه إلى خلق الله، ويزكّي به نفسه، ويكون سببا في صلاح عياله وسعة رزقه وحلول البركة في ماله، وهو من الآثار الحسنة والأعمال الصالحة التي لا ينقطع أجرها وثوابها، يقول الحق ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢ ﴾ [يس:١٢].

وقد لحظت نُدرة الكتب والرّسائل العلمية التي تخاطب عامّة المسلمين وتقرّب مفهوم

الوقف لهم وتبسّط أحكامه، ومن ثمّ يسّر الله لي إعداد هذه الوريقات، ووسمتها بـ

«مجالس الوقف»

وجعلتها في ثلاثين مجلسًا يشتمل كل مجلس على موضوع ذي علاقة بالوقف يتخلّله جملة من النصوص والفوائد والقصص والمواعظ التي تحكي حال المسلمين مع شعيرة الوقف الإسلامي، وكيف كان له أعظم الأثر في حياة المسلمين في العصور الماضية؟ وكيف حققوا – بفضل الله ثم بالوقف– الرفاهية والعيش الرغيد لأبناء المجتمع المسلم؟ بل ولمن عاش في أكنافهم وبين أيديهم من الموالي وأهل الذمة ونحوهم؟ بل تجاوز الأمر بني البشر إلى البهائم والعجماوات فنالها من بركة الوقف وخيره، في الوقت الذي كانت فيه أوربا وبلاد الغرب تعيش حالة من التخلّف والذّل والمهانة والضّعف.

وإنا نشهد –ولله الحمد– في الآونة الأخيرة عودة جادّة من أهل الإسلام للوقف في سبيل الله سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى المؤسسات والجهات الخيريّة أو على مستوى الدّول والحكومات، مما يؤكد على أهل العلم والخير لزوم المساهمة في تقريب علوم الوقف وتسهيلها وتسخير سائر العلوم الدنيوية الأخرى لأن تخدم مجال الأوقاف وتساهم في إنمائها والمحافظة عليها كعلوم المحاسبة والحوكمة والجودة ونحوها.

وأحمد الله ﷻ وأشكره أولا وآخرًا على ما يسّر وأعان.

وإن أنسى فلا أنسى أن أشكر من كان لها الفضل الأسمى والقدر الأعلى وهي والدتي الغالية حفظها الله ومتعها بالصحة والعافية وأطال في عمرها على حسن عمل ورزقني برها ورضاها، كما أشكر الزوجة الحبيبة التي كانت لي نعم العون على إنجاز هذا الكتاب بتهيئة الجو المناسب والتسديد والتحفيز وإبداء الرأي والمشورة ﵂ وأرضاها.

كما يطيب لي ويشرّفني أن أشكر فضيلة شيخي الجليل د. محمد بن عبدالعزيز الخضيري على تفضّله بقراءة هذه الوُريقات والتقديم لها.

كما لا يفوتني أن أشكر كلّ من ساهم معي وأعانني على هذا العمل أو دلّني على مرجع أو أفادني بمسألة أو صوّب لي خطأ وأخص بالشكر الشيخ النحويّ الجليل د.عبدالمحسن بن خاتم السليس، والأستاذ القدير محمود بن عبدالمنعم الغنّام، والأستاذ المبارك يوسف بن إبراهيم الهبدان، وشقيقي الكريم عبدالرحمن بن عبداللطيف الحميدي على تفضلهم بالمراجعة والتدقيق.

كما أشكر أخويّ الكريمين الشيخ أسامة بن محمد فريد على تخريجه للأحاديث والنصوص الواردة في الكتاب، وكذا الشيخ المفضال حمادة إسماعيل فودة على مساهمته في التخريج.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا متقبّلاً وأن يجعله ذخرًا لي بعد الممات وأن يغفر لي ولوالدَيّ ولزوجي وولدي، ولمشايخي وإخواني وأحبابي، وأن يجمعنا جميعًا في دار كرامته ومستقرّ رحمته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

ورحم الله من أهدى إليّ عيوبي وبصّرني بزلّاتي ونبهني على غفلتي وتقصيري.

والله أعلم وأحكم وصلى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه:

أبو عبداللطيف

عبدالله بن عبداللطيف الحُميدي

المجلس الأول

الإخـــــلاص

المجلس الأول

الإخـــــلاص

جاءت شريعة الإسلام بالحثّ على فعل الخير وابتغاء الأجر والثواب من الله ﷻ مع متابعة النبي ﷺ في فعله، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]، وقال ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]، وقال ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك:٢].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله ﷻ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧]، قال: أخلصه وأصوبه، قالوا يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إذا كان العمل خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابًا، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد»(٢)، فليخلص لله النيّة من عزم على الوقف في سبيل الله وليقتف أثر سيد المرسلين ﷺ.

وإن الوقف في سبيل الله من أعظم الخيرات ومن أجلّ القربات حيث جمع بين الصّدقة في سبيل الله وديمومتها واستمرارها.

فالوقف هو: حبس المال المتصدَّق به، فلا يُباع ولا يُوهب ولا يُورث مع تسبيل

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٥/١٢٤)، التفسير القيم (١/٧٨)، تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/٤٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، مسلم (١٧١٨).

منفعته وأثره وريعه في وجوه البر والمعروف.

إن نماء الأوقاف وبركتها وعموم نفعها يعود في الغالب إلى صدق نية الواقف وابتغائه للأجر من الله ﷻ فربّ عمل قليل تكثره النّية و«سبق درهم مائة ألف درهم»(١) كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ فلا تستحي من إعطاء القليل، فإن الحرمان أقلّ منه، وتأمل قول الحق ﷻ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

ولاحظ: لأهمية الإخلاص في الصّدقة اقترن معها في أغلب الآيات القرآنية الحاثّة عليها والمرغبة فيها، ومنها:

قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البقرة: ٢٦٢].

ومنها قوله ﷻ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥] وغيرها كثير.

ولله درُّ الإمام الصنعاني ﷺ يوم قال:

إذا لم يكـــن لله فعلـــك خالصًـــا ... فكُـلّ بنـاء قـد بنيـت خـرابُ

فللعمل الإخلاص شرط إذا أتى ... وقـد وافقتـه سـنة وكتـابُ(٢)

---

(١) أخرجه النسائي (٢٥٢٨) من حديث أبي هريرة ﷺ، وحسنه الألباني.

(٢) ينظر: عيون الرسائل والأجوبة على المسائل (٢ /٦٧٣).

كان أبو طلحة ﷺ أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس ﷺ فلما أنزلت ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة ﷺ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله ﷻ يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «بخ(١)، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبو طلحة ﷺ: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه(٢) و(بخ) معناها تفخيم الأمر والإعجاب بما قاله أبو طلحة ﷺ.

للمسلمين على نُزورَة وَفْرهم ... كَنْزٌ يَفيضُ غِنًى من الأوقافِ

كنْزٌ لو استَشْفَوا به مِن دائهم ... [لَتَوَجّروا](٣) منه الدَّواءَ الشافي

ولو ارتقَوا بجناحه في عصرِهم ... لأطارَهم بقوادمٍ وخَوَافِي(٤)

ويستقى من هذه القصة الجميلة ما يلي:

* فضل الإخلاص لله ﷻ وأثره على المسلم في حصول الثواب الجزيل والأجر العظيم

---

(١) بخ: كلمة تقال عِنْد الْمَدْح، ينظر تفسير غريب ما في الصحيحين (/٢٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦١).

(٣) لعلها من الإيجار وهو الإكراء الذي هو عقد معاوضة، وكأنه أراد أن الواقف في سبيل الله يكافأ على وقفه ويعوّض بالشفاء والعافية في الدنيا.

(٤) الأبيات للشاعر معروف الرصافي، وله ديوان مطبوع.

من الله ﷻ.

* فضل المبادرة في عمل الخير والمسارعة إليه والاستجابة لأمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ.

* الإنفاق مما يحبه الإنسان كي يكون أعظم لأجره وأزكى لنفسه، حتى إنه ورد عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان يشتري أعدالًا من سكّر ويتصدق بها فقيل له: هلاَّ تصدَّقْتَ بقيمتها؟ فقال: لأن السكّر أحبُّ إليَّ فأردت أن أنفق مما أحب والله يقول ﷻ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وقال الحسن البصري رحمه الله: إنكم لن تنالوا ما تحبون إلا بترك ما تشتهون، ولن تدركوا ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون(١).

* ثمرة الطاعة وأثرها على حياة المسلم ولذا نال أبو طلحة رضي الله عنه هذا الرضى والتسليم والأنس بالطاعة وهو يتجرّد من أحبّ أمواله إليه، وكيف عوّضه الله ﷻ بالرضى الداخلي والسعادة الغامرة بطاعة الله ﷻ.

قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ص١٢٥، بتصرف يسير.

المجلس الثاني

الحياة الحقيقية

المجلس الثاني

الحياة الحقيقية

إن حياة المسلم الحقيقية هي الحياة بعد الممات كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وكما قال ﷻ حاكيًا عن الكافر إذا لقي الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢١-٢٤]، فهو علم أن الحياة الباقية والمستمرّة والتي تستحق العمل والاجتهاد والبذل هي الحياة الأخرى، الحياة الطويلة الممتدة التي بعد الموت وبعد الحساب.

لذا فإنه يتكرر في القرآن الكريم الأمر بالصّدقة والحثّ عليها، ويقترن أحيانًا بتذكير المؤمن بالموت وفراق الدنيا وبأن أجله سينتهي وربما ندم أو تحسّر على عدم الصدقة، يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

ويقول ﷻ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠-١١]، فهو ما ندم وما طلب أن يرجع إلى الدنيا إلا ليتصدق ويتقرب إلى الله ﷻ، لما للصّدقة من أثرٍ وأجرٍ وغنيمة، ثم بمجرد خروج روحه من نفسه انتقل هذا المال من كونه مالًا له إلى كونه مالًا لورثته لهم غنمه وعليه غرمه، والله المستعان.

مضى أمسك الماضي شهيدًا معدلًا وأعقبه يوم عليك جديدُ
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة فثنِّ بإحسان وأنت حميدُ
ولا ترج فِعل الخير يومًا إلى غدٍ لعلَّ غدًا يأتي وأنت فقيدُ[١]

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ﷺ في تفسير قوله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس:١٢] قال: «إنا نحن نحيي الأموات جميعًا ببعثهم يوم القيامة، ونكتب ما عملوا من الخير والشر، وآثارهم التي كانوا سببا فيها في حياتهم وبعد مماتهم من خير: كالولد الصالح والعلم النافع والصدقة الجارية، ومن شرّ: كالشرك والعصيان، وكل شيء أحصيناه في كتاب واضح هو أم الكتب، وإليه مرجعها، وهو اللوح المحفوظ، فعلى العاقل محاسبة نفسه؛ ليكون قدوة في الخير في حياته وبعد مماته»[٢] اهـ.

وهكذا نجد النبي ﷺ يذكّر أصحابه ﷺ بفضل الصّدقة ويحثّهم عليها ويرغّبهم فيها وإليك هذه القصة التي رواها الصحابي الجليل أبو هُرَيْرَةَ ﷺ قال قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلاَةٍ[٣] مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءهُ فِي حَرَّةٍ[٤] فَإِذَا شَرْجَةٌ[٥] مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ المَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ المَاءَ بِمِسحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، ما اسمُكَ؟ قال: فُلانٌ للاسم الذي سَمِعَ فِي السَّحابةِ، فقال له: يا

(١) الأبيات لمحمود بن الحسن، ينظر الزهد الكبير للبيهقي رقم (١).
(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦٩٢/١).
(٣) **الفلاة**: هي الصحراء.
(٤) **الحَرَّة**: هي الأرض ذات الحجارة السود.
(٥) **الشَرْجَة**: هي مسيل الماء.

عبدَ الله، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوتًا فِي السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لاسمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا، فَقَالَ: أَمَا إذ قلتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»(١).

ويستقى من هذه القصة النبوية جملة من الفوائد منها:

* فضل الإنفاق في سبيل الله وأجلّه وأعظمه الوقف في سبيل الله ﷻ قال النووي ﷺ: «وَفِي الْحَدِيث فَضْل الصَّدَقَة وَالْإِحْسَان إِلَى الْمَسَاكِين وَأَبْنَاء السَّبِيل»(٢).
* أن من أنفق فهو موعود بخلف رباني كريم، لقول رب العالمين ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].
* إنّ المنفق في سبيل الله يدعو له ملَك كل يوم، وإنّ الممسك الشحيح البخيل يدعو عليه ملَك كل يوم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»(٣).

ولا شك أن الواقف في سبيل الله ﷻ ينال أجرًا عظيمًا وخيرًا عميمًا فهو بمثابة من ينفق كل يوم في سبيل الله، وجاء في حديث أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلا كان له به صدقة»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٤).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٨ /١١٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، مسلم (١٠١٠).

(٤) أخرجه البخاري (٢٣٢٠)، مسلم (١٥٥٣).

قال أحدهم حاكيًا على لسان أهل المقابر:

يا واقفـــين ألم تكونـــوا تعلمـــوا ... إن الحُمـــام[١] بكـــم علينـــا قـــادمُ

لـــو تنزلـــون بشـــعبنا لعرفتمـــوا ... أنّ المفـــــرط في التـــــزود نادمُ

لا تســـــتعزّوا بالحيـــاة فـــإنكم ... تبنـــون، والمـــوتُ المفـــرقُ هـــادمُ[٢]

فالله الله باستثمار هذه الحياة لبناء الحياة الحقيقية القادمة.

(١) الحمام بضم الحاء المهملة: الموت.

(٢) ينظر: مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (٨٣/١).

المجلس الثالث

الوقف تجارة مع الله ﷻ

المجلس الثالث

الوقف تجارة مع الله ﷻ

قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]، إنها التجارة مع الله ﷻ وهي الطريق الصحيح لتوصيل الإنسان العاقل إلى غايته المتمثلة في السعادة في الدنيا، والنجاة في الآخرة.

ولقد سأل الصحابة ﷺ النبي ﷺ عن أفضل أنواع التجارة حتى يعملوا بها، فنزلت الآيات الكريمات من سورة الصّف، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١﴾ [الصف: ١٠-١١][(١)].

لقد فهم الصحابة الكرام ﷺ هذا النداء القرآني جيدًا واستوعبوا من معلّمهم ومرشدهم ومربيهم ﷺ أسس هذه التجارة وآدابها وقواعدها فانطلقوا يتسابقون ويتنافسون إلى الخير وفي الخير، لقد شمّروا عن سواعدهم، وحملوا أرواحهم على أكفّهم، وخاضوا معارك كثيرة، إعلاء للراية، ونصرة للدين وتمكينًا له في الأرض، وسعيًا للشهادة، وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﷺ.

ولقد ضرب الصحابة ﷺ أروع المثل في البذل والعطاء والتضحية والتجارة مع الله ﷻ، لكن يبقى ما فعله الصحابي الجليل ثالث الخلفاء الراشدين، وثالث العشرة المبشرين بالجنة، ورمز الحياء والكرم ذو النورين عثمان بن عفان ﷺ يبقى أنموذجًا من أروع النماذج الخالدة، وصورة لتجارة رابحة مع الله ﷻ بدأت قبل ما يزيد عن أربعة عشر

---

(١) ينظر: تفسير مجاهد: (٦٧١/٢)، جامع البيان: (٦١٦/٢٢)، الدر المنثور: (٤٤٨/١٤).

قرنًا من الزمان مع مَقدم النبي ﷺ إلى المدينة عندما أقدم عثمان ﷺ على شراء «بئر رومة» ليوقفه للمسلمين فيشربوا منه بلا مقابل بعد أن كان يباع لهم بما يزيد على طاقتهم.

خليفـــة الجـــود ذو النـــورين عثمـــانًا ... بـدر الصـحابة إنفاقًـا وإحسـانًا

نلـــت المحبـــة في قلـــب النـــبي ومـــن ... ســواك بنتــاه مــن أزواجــه كــانا

لـك الحيـاء الـذي مـن صـدقه خجلـت ... ملائـك الله لمـا فـاض إيمـانًا[١]

لما قدم النبيّ ﷺ والمهاجرون ﷺ المدينة استنكر المهاجرون ماءها إذ لم يكن فيها ماء عذب إلا ماء بئر رومة وكانت على الصحيح لرجل من بني غفار يسمى رومة الغفاري، وكان لا يسمح بالشّرب منها إلا بثمن فكان يبيع منها القربة بِمُدٍّ، فقال له النبي ﷺ «تبيعنيها بعين في الجنة؟» فقال: يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي غيرها، فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَدِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ» وفي رواية أنه قال: «مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ» فَاشْتَرَاهَا عُثْمَانُ ﷺ[٢]، من صلب ماله، ولم يميّز نفسه عن أحد من روّادها بل جعل دلوه مع دلاء المسلمين ابتغاء الأجر والثّواب الذي وعده به رسول الله ﷺ وهو الصّادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى.

ولأن القصد والغاية كانت مرضاة لله ﷻ ورسوله ﷺ فقد استمرت هذه التجارة حتى يومنا هذا بل وستظل إلى ما شاء الله لها أن تدوم، وتعتبر البئر أول سبيل لسقي الماء في الإسلام، ولقد أثمرت هذه التجارة «البئر» أشجارًا ومزارع ومباني وحدائق بل أصبحت تمثل حيًا كاملًا من أراضي أحياء المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم[٣].

---

(١) من أنشودة بعنوان «ذو النورين» لمشاري العرادة.

(٢) أخرجه البخاري (٣/١٠٩).

(٣) للاستزادة ينظر: بئر رومة، للدكتور عبدالله بن محمد الحجيلي الحربي.

لله درك في بـــــذل وفي كـــــرم ... يا مـــن تلـــوّن فيـــه الخـــير ألـــوانًا

بـــذلت نفســـك للإســـلام تنصـــره ... والمـــالُ ترســـله حبًـــا وقـــربانًا

يا مـن لـه بيعـة الرضـوان قـد عقـدت ... والمؤمنـــون جنـــوا عفـــوًا وغفـــرانًا

وكـــفُّ أحمـــد قـــد نابـــت مبايعـــة ... عـــن كفـــه فغـــدت يمنـــاه عثمـــانًا[1]

وإن من أعظم الصدقات والأوقاف ما كان في سقيا الماء، جاء في الحديث عن سعد بن عبادة ﷺ أنه قال: يا رسول الله إن أمي توفيت ولم توص أفينفعها أن أتصدق عنها؟ قال ﷺ: «نعم وعليك بالماء»[2]، وجاء عنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الصدقة سقيا الماء»[3].

بل إن الله ﷻ يغفر للعبد الذنب بسبب سقيا الماء، ولو كان لبهيمة أو حيوان، أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ اشتدَّ عليهِ العطَشُ فوجدَ بئرًا فنزلَ فيها فشربَ ثمَّ خرجَ فإذا كلبٌ يلهَثُ يأكلُ الثَّرَى منَ العطَشِ فقالَ الرَّجُلُ لقد بلغَ هذا الكلبَ منَ العطشِ مثلُ الَّذي كانَ بلغَ بِي فنزلَ البئرَ فملأَ خفَّهُ ثم أمسَكهُ بفيهِ فسقى الكلبَ فشكرَ اللَّهُ لهُ فغفرَ لهُ قالوا يا رسولَ اللَّهِ وإنَّ لنا في البهائمِ أجرًا فقالَ في كلِّ ذاتِ كبِدٍ رطبةٍ أجرٌ»[4].

ويستقى مما سبق ما يلي:

* أن سقيا الماء من أعظم أسباب مغفرة الذنوب، وقد غفر الله ذنوب الذي سقى الكلب شربة ماء، فكيف بمن سقى رجلًا مؤمنًا موحدًا! بل كيف بمن حفر بئرًا

---

(١) من أنشودة بعنوان «ذو النورين» لمشاري العرادة.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: (٨٠٦١). وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٦١٥).

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٨١)، النسائي (٦/٢٥٤ -٢٥٥)، ابن ماجة (٣٦٨٤)، وحسنه الألباني.

(٤) أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، مسلم (٢٢٤٤).

أو وفر برّاد ماء للمسلمين!!.

* أن البركة جند خفي من جنود الله ﷻ يهبها لمن يشاء من عباده، لذا على المسلم أن يسعى في الحصول عليها بالصدق مع الله وإحسان النية واللّجوء إلى الله ﷻ وسؤاله قال ﷺ عن عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٣١].

* الأثر البالغ والدور الكبير لناظر الوقف في نمائه وبركته وزيادته، لذا فإنّ على من تولى وقفا أن يسعى جهده في إصلاحه والعناية به كما يعتني بماله الخاص بل أكثر من ذلك، محتسبًا الأجر من الله ﷻ ومبتغيًا الثواب منه ﷻ.

* أن الوقف في سبيل الله من أعظم أسباب دخول الجنة حيث رغّب النبي ﷺ في شراء بئر رومة ووعد من اشتراها أو حفرها بالجنّة.

* فضل الصّحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث كان من المبادرين والمسارعين إلى الخيرات.

المجلس الرابع

مشروعية الوقف والحكمة منه

المجلس الرابع

مشروعية الوقف والحكمة منه

إنّ مما يقرب العبد إلى ربه ﷻ بذل المعروف والخير والإحسان للناس، يقول ﷻ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة:١٩٥].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي ﷺ: «يأمر ﷻ عباده بالنفقة في سبيله، وهو إخراج الأموال في الطّرق الموصلة إلى الله، وهي كلُّ طرق الخير، من صدقة على مسكين، أو قريب، أو إنفاق على من تجب مؤنته، ولما كانت النفقة في سبيل الله نوعا من أنواع الإحسان، أمر بالإحسان عموما فقال ﷻ: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان؛ لأنه لم يقيده بشيء دون شيء، فيدخل فيه الإحسان بالمال كما تقدم»(١).

وإنّ من أعظم صور الإحسان إلى الخلق الوقف في سبيل الله ﷻ وهو عمل صالح وقربة حسنة يستمرّ أجرها ويدوم نفعها -بإذن الله-.

ولقد جاءت شريعة الإسلام بالحث على الوقف وهو حبس المال في سبيل الله ﷻ وتسبيل منفعته ليستفيد منه المسلمون، وجميع الآيات الدّالة على فضل الصّدقة والحثّ عليها هي دالّة من باب اللّزوم على فضل الوقف فهو من أرجى الصدقات وأعظمها نفعا، ومن الآيات قوله ﷻ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ

---

(١) تفسير السعدي (١ /٩٠).

مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، وقوله ﷻ: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

كما جاءت أحاديث نبوية عديدة تحثّ على هذا الباب من الخير وتأمر به وترغّب فيه، ومنها حديث أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(١)، ومن العلماء من فسّر الصدقة الجارية بالوقف على التخصيص منهم النووي ﷺ؛ لأن الصدقة الجارية مما لا ينقطع أجرها، ولا يمكن جريان الصدقة إلا بحبسها، والحبس مندوب إليه، وعقب الإمام النووي ﷺ في شرح هذا الحديث فقال: (وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه)(٢) أ. هـ.

وعن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: «سبع يجري للعبد أجرهنّ وهو في قبره بعد موته: من عَلّم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورّث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته»(٣). وتأمل -أخي المسلم- مليًّا هذه الأعمال، واحرص على أن يكون لك منها حظّ ونصيب ما دمت في دار الإمهال، وبادر إليها أشدّ المبادرة قبل أن تنقضي الأعمار وتتصرم الآجال.

زيادةُ المـــرءِ في دنيـــاه نقصـــانُ ... وربحُـه غـيرَ محـضِ الخـير خسـرانُ

---

(١) رواه مسلم (١٦٣١).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (١١/٨٥).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/٣٤٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/٢٤٨) رقم: ٣٤٤٩، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: ٣٦٠٢.

أَحْسِنْ إلى النَّاسِ تَسْتَعبِدْ قلوبَهم ... فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

مَن جادَ بالمالِ مالَ النَّاسُ قاطبةً ... إليه والمالُ للإنسانِ فتَّانُ

أَحْسِنْ إذا كان إمكانٌ ومَقْدِرَةٌ ... فلن يدومَ على الإنسان إمكانُ[1]

وهاهم صحابة رسول الله ﷺ يتسابقون إلى هذا الخير، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصاب أرضًا بخيبر، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالًا قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ قال: «إن شئت حبّست أصلها، وتصدّقت بها» قال: فتصدق بها عمر، أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وتصدق بها في الفقراء، وفي القربى وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم غير متمول[2].

والوقف في سبيل الله تغلّب على شهوة حبّ المال، وانتصار على النفس في إلزامها ببذل المال لله ﷻ وابتغاء الأجر منه، فهو تزكية للنفس ورفعة لها قال ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: ١٠٣]، وإن تزكية النفوس من أعظم ما دعا إليه الإسلام بعد التحذير من الشرك، لذا فقد أقسم الله ﷻ في كتابه في سورة الشمس بأحد عشر قسمًا على أمر واحد وهو تزكية النفس، قال ﷻ: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ١-١٠].

---

(١) الأبيات من نونية أبي الفتح البستي، وله ديوان مطبوع.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٧)، مسلم (١٦٣٢)، وغير متمول: أي لا يأخذ فوق حاجته.

ومن حكم الوقف العظيمة القيام بحاجة المسلمين، وسدّ خلتهم، ورفع المنّة عنهم، فالواقف في سبيل الله تخلّى عن ماله لينفع إخوانه ويرفعهم ويعزهم، فهذا واقف على بيت لله بناه فصلّى فيه عباد الله، وهذا وقَفَ سكنا لأبناء السبيل أو للأرامل والأيتام والمعوزين، وهذا وقَفَ مشفى يتعالج فيه من لا يجد قيمة العلاج والدواء من أبناء المسلمين، وذاك ساهم في بناء وقف للدعوة إلى الله ﷻ ورعاية المسلمين الجدد وتأليف قلوبهم وترغيبهم في الإسلام، وهذا وقف بعض ماله في عقار يدرّ على حلقات تعليم القرآن الكريم وتحفيظه أو تعليم العلوم الشرعية والقيام على طلبة العلم أو طباعة الكتب، وهكذا... فإن الوقف في الإسلام يحيي روح التّكافل ويعزّز أواصر الأخوة، ويؤكّد على معاني الاجتماع والألفة والمحبّة وزرع الأخلاق الإسلامية الحميدة بين أبناء المجتمع المسلم.

ومع مرور الزّمان بدأت تظهر للمسلمين القيمة الحقيقية للأوقاف إذ إنها ساعدت بل أسهمت بدور حيوي في حلّ المشاكل التي واجهت أمة الإسلام عبر تاريخها الحضاري الطويل، حتى وقفت الأوقاف سدّا منيعا وحجابا حاجزًا أمام العدو الخارجي وأمام الجهل والفقر والضّعف، ومن أبرز الأوقاف التي كان لها هذا الدور الرّائد في العصر الحديث جامع الأزهر حيث قام بدور عظيم ومؤثّر أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م، ولم يقف دوره على إصدار البيانات المتلاحقة أثناء العدوان فقط، بل قام شيخ الجامع الأزهر في حينه الشيخ عبد الرحمن تاج ﷺ بمراسلة ملوك ورؤساء عدد من الدول في الشرق والغرب من أجل القيام بعمل حاسم لإنجاز سحب قوات العدو فورًا من مصر، وليس هذا فحسب بل كان الأزهر يقوم بجمع التبرعات وإرسال الكتائب من طلبة الأزهر وعلمائه إلى ميادين القتال للتطوع في الجيش، كما كان دوره فعّالا ومؤثّرا في الميدان الثّقافيّ لتعبئة النفوس وتهيئتها لخوض المعارك والاستهانة بالتضحية بالنفس في سبيل الله؛ لأجل تبصير الناس بأحكام الدين وما شرعه للمسلمين في هذه المواقف، وما أُعدّ

للمجاهدين من أجل دينهم وأوطانهم وحرماتهم من موفور الجزاء في العاجل والآجل[١].

وهكذا فإن أدوار الأوقاف الإسلامية لا تنحصر في الجوانب العبادية المحضة أو الاجتماعية بل تتعدى ذلك إلى ميادين السياسة والجهاد في سبيل الله ﷻ.

(١) للاستزادة ينظر: كتاب تاريخ الجامع الأزهر، لمحمد عبدالله عنان.

المجلس الخامس

أركان الوقف

المجلس الخامس

أركان الوقف

يحسن بالمسلم أن يتعلّم أحكام الوقف في سبيل الله ﷻ كي يبادر إلى العمل به على بصيرة وعلم تأسيًا برسول الله ﷺ وبصحبه الكرام رضي الله عنهم.

حيث إن الوقف: تحبيس أصل المال المراد إنفاقه مع تسبيل منفعته.

مثل: أن يبني المسلم دارًا أو عمارة لله ﷻ ويجعل دخلها أو ريعها يصرف في أوجه البر والمعروف.

إلَّا أنَّ لهذا الوقف أركانًا لا يقوم إلا بها وهي أربعة أركان:

الركن الأول: الواقف: وهو الذي بذل المال وحبّسه في سبيل الله ﷻ.

والركن الثاني: الموقوف عليه: وهي الجهة المنتفعة من الوقف ومصارفه سواء كانت الجهة المنتفعة أفرادًا معينين بأشخاصهم، كما في الوقف على الذّرية والقرابة، أو كانوا معيّنين بأوصافهم كالفقراء أو المساكين أو طلبة العلم أو حفّاظ القرآن الكريم، وقد يكون الوقف على مؤسسات أو جهات كالجمعيات الخيرية أو مدارس تحفيظ القرآن الكريم أو مكاتب الدعوة إلى الله ونحو ذلك.

والركن الثالث: المال الموقوف: سواءً كان عقارًا ثابتًا كالعمائر والدور والمحلات والأسواق، أو كان منقولًا كالدراهم والأموال والمصاحف والكتب والأثاث والأجهزة والسلاح ونحوها.

أما الركن الرابع: فهو الصيغة الوقفية: وهي اللَّفظ الذي يدل على إرادة الوقف سواء كانت صريحة كأن يقول (وقفت، وحبّست، وسبَّلت) أو كانت الصيغة كنائية وغير صريحة كنحو (تصدّقت وحرّمت وأبدّت) لكن يشترط نية الواقف في الصيغ الكنائية، أو اقترانها بأحد الألفاظ الصريحة.

ومما يحسن التنبيه عليه أنه لا يحق للواقف الرجوع في وقفه أو العدول عنه؛ لأنه أخرجه من ملكه إلى ملك الله ﷻ.

ومثال ذلك: أن يفتح الله على مسلم فيسمع داعيًا إلى البذل والمعروف فيبادر إلى مال من أمواله محبوب إليه كبيتٍ أو مصنعٍ أو سوقٍ أو دكانٍ، فيتصدّق به ويكتب ذلك في مشهد أو يقوله في مجلس ويشهد عليه -والكتابة والتوثيق أولى وأحفظ- فيجعل أصل هذا العقار صدقة لله ﷻ لا يُباع ولا يُوهب ولا يُورث وإنما هو لأيتام بلده مثلا أو لدارسي أو مدرسي القرآن الكريم في المساجد أو لنشر العلم وطباعة الكتب، فيؤجّر هذا العقار بإيجار شهري أو سنوي وما يتحصّل في نهاية الفترة يصرف في هذه الأوجه التي حدّدها الواقف.

وإليكم هذه القصة من العهد النبوي:

روى عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال لما نزلت هذه الآية: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١﴾ [الحديد: ١١]، قال أبو الدحداح الأنصاري ﷺ: وإنَّ الله ليريد منا القرض، قال ﷺ: «نعم يا أبا الدحداح»، قال: أرني يدك يا رسول الله، قال: فناوله رسول الله يده، قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي، قال ابن مسعود ﷺ: وحائطه له فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها، قال: فجاء أبو الدحداح فنادى: يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: اخرجي من الحائط فقد أقرضته ربي، وفي رواية أخرى أنها لما سمعته يقول ذلك عمدت إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم فقال النبي ﷺ: «كم من عذق[1] رداح في الجنة لأبي الدحداح»، وأصل القصة في صحيح مسلم، وفيه قول النبي ﷺ: «كم من عذق مدلى في الجنة لأبي

(١) قال النووي ﷺ: الْعِذْقُ هُنَا بِكَسْرِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ، وَهُوَ الْغُصْنُ مِنَ النَّخْلَةِ. وَأَمَّا الْعَذْقُ بِفَتْحِهَا فَهُوَ النَّخْلَةُ بِكَمَالِهَا، وَلَيْسَ مُرَادًا هُنَا، (ينظر شرح النووي على مسلم (٣٣/٧).

الدحداح»[١]، وجاء في بعض الروايات أنه قال: يا أم الدحداح اخرجي من الحائط، فقد بعته بنخلة في الجنة، فقالت: ربح البيع، ربح البيع، أو كلمة تشبهها[٢].

فها هو الصحابي الجليل ﷺ قد جعل الدنيا وراء ظهره ولم يأبه بها وفرح بالربح الحقيقي في التجارة مع الله ﷻ.

فليست هذه الدنيا بشيءٍ ... تسوؤك حقبة وتسر وقتا
وغايتها إذا فكَّرت فيها ... كفيئك أو كحلمك إذ حلُمتا
سُجنتَ بها وأنت لها مُحِبٌ ... فكيف تحب ما فيه سجنتا
ولم تخلق لتعمرها ولكن ... لتعبرها فجُدّ لما خُلقتا
ولا تحزن على ما فات منها ... إذا ما أنت في أخراك فزتا[٣]

وجاء أن عثمان بن عفان ﷺ كان من أعظم الصّحابة إنفاقًا في سبيل الله ولما سَأل رسول الله ﷺ وقال: «من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة؟» فاشتراها عثمان ﷺ[٤]، ثم إنه ﷺ قال يومًا: «من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخيرٍ منها له في الجنة؟» فاشتراها عثمان ﷺ من صلب ماله فبُني بها المسجد ووُسع[٥]، وجاء أيضًا أنه جهَّز جيش العسرة فقال النبي ﷺ بعد ذلك: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم، ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم» يرددها مرارًا ﷺ[٦].

---

(١) رواه مسلم (٩٦٥).
(٢) رواه الإمام أحمد (١٢٤٨٢)، وابن حبان (٧١٥٩)، والحاكم (٢١٩٤، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٩٦٤) على شرط مسلم.
(٣) الأبيات لأبي إسحاق الألبيري، وله ديوان مطبوع.
(٤) رواه البخاري (١٠٩/٣).
(٥) رواه الترمذي (٣٧٠٣)، وحسنه الألباني.
(٦) رواه الترمذي (٣٧٠١)، وحسنه الألباني.

وكان من تجار المدينة رجل يهودي يقال له مخيريق[١]، وكان حَبرًا عالماً، وكان رجلًا غنيًا كثير الأموال من النّخل وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته، فلما علم أنه رسولٌ من عند الله آمن به ثم ذهب إلى يهود وقال: لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق، فقالوا: إن اليوم يوم سبت، فقال: لا سبت لكم، فأخذ سيفه وعُدَّته وقال: إن أُصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء، فذهب فقاتل مع النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في «غزوة أحد» ثم قُتل، وجاء عن محمد بن كعب رضي الله عنه أنه قال: أول صدقةٍ في الإسلام وقف رسول الله ﷺ أمواله لما قتل مخيريق بأُحُدٍ وأوصى: إن أُصبت فأموالي لرسول الله ﷺ فقبضها وتصدّق بها، وقال ﷺ بعدها: «مخيريق خيرُ يهود»[٢].

إذا اســـتغنيت عـــن ذُل الســـؤال ... وعـــن طلـــب الـــدراهم والـــريال

وأعطـــاك الإلـــه كثـــير مـــالٍ ... فأنـــت بنعمـــة وصـــلاح حـــال

فـــلا تحـــوج أخـــا فقـــرٍ لســـؤل ... وجـــدْ فـــالعمر محـــدود الليـــالي

تصـــدّق بالـــذي تســـطيع حـــتى ... تلاقـــي الأجـــر في يـــوم المـــآل[٣]

ويستقى من هذه القصص والمواقف ما يلي:

* فضل الصدقة والإنفاق في سبيل الله ﷻ وبالأخص الوقف في سبيل الله وأنه سبب في الحصول على الربح في الدارين قال ﷺ لأبي الدحداح رضي الله عنه: «كم من

---

(١) هو مُخَيْرِيق النَّضَري الإسرائيلي من بني النضير، وقد ذكر الواقدي في المغازي ص ٢٦٢ انه أسلم واستشهد يوم أحد ويقال: إنه من بني قينقاع وقال: قال عبد العزيز: بلغني أنه كان من بقايا بني قينقاع وكان عالما وقال: قد أوصى بأمواله للنبي ﷺ وهي سبع حوائط، فجعلها النبي ﷺ صدقة. انظر: الإصابة ٥٧/٦، والأعلام ١٩٤/٧.

(٢) أخرجه الواقدي في المغازي (٢٦٣/١)، وعنه ابن سعد (٥٠١/١، ٥٠٢)، وذكره الحافظ في الإصابة (٧٣/٦) وابن شبة في تاريخ المدينة (١٧٣/١). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١ / ص ٧٨ و٧٩).

(٣) صحيفة الجزيرة، الجمعة ١٠، محرم، ١٤٢٩، ع١٢٨٩٥.

عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح».

* أن الإنفاق والوقف في سبيل الله سبب في السلامة من الضرر قال ﷺ عن عثمان رضي الله عنه: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم»

* أن الإنفاق في سبيل الله ﷻ سبب لحصول الخيرية بشهادة رسول الله ﷺ لمخيريق رضي الله عنه بقوله «مخيريق خير يهود».

المجلس السادس

أنواع الوقف

المجلس السادس

أنواع الوقف

من نعم الله ﷻ على عباده: أن جعل أبواب الخير عديدة، ومنها ما يجري فيه الثواب إلى ما بعد الممات، فتزداد الحسنات في السّجلات؛ لأن ثوابها لا ينقطع، بل هو دائم متصل النفع.

وإن الوقف في سبيل الله باب عظيم من أبواب البر والإحسان، ومن فضل الله ورحمته أن يسّر هذا الباب لكل مسلم، ورغّب فيه النبي الكريم.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»(١).

وقد ذكر جمع من أهل العلم أن المراد بالصدقة الجارية: الصدقة التي يستمر نفعها، فليست صدقة مقطوعة تُصرف لمحتاج أو مسكين لمرّة واحدة، ويضربون لذلك مثالًا بالوقف في سبيل الله ﷻ حيث إنه يُحبس أصله ويبقى لأجل أن ينتفع به المسلمون ويصرف ريعه في أوجه المعروف والإحسان.

ومن تيسير الله ﷻ أن جعل الوقف أنواعًا وأقسامًا عدّة:

فهو ثلاثة أنواع باعتبار الموقوف عليه:

فالأول: أن يكون الموقوف عليه عملًا خيريًا أو جهة خيرية عامة وهو ما يمكن أن نسميه بالوقف الخيري كالوقف على إطعام الطعام وتوزيع المياه وعلاج المرضى أو الوقف على جمعيات البر والمستودعات الخيرية ومكاتب الدعوة ونحوها من الجهات والمؤسسات.

والثاني: أن يكون الموقوف عليه هم الذّرية وهو ما يسمى بالوقف الذُريّ أو الأهليّ:

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١).

كأن يوقف عمارة على أولاده من بنين وبنات ويوزعها بينهم، وغرضه من هذا الوقف أن يبقى فلا يباع ولا يورث.

والنوع الثالث: هو الوقف المشترك بين الوقف الذّريّ والخيريّ كأن يكون مصرف الوقف موزعًا بالنسبة المحددة بين الذرية والمصارف الخيرية أو أن يكون مصرف الوقف للذرية من الجيل الأول والثاني مثلا ثم ينتقل بعد ذلك إلى أن يكون وقفًا خيريًا يصرف في أوجه البر والخير والإحسان.

كما أن للوقف تقسيمًا آخر باعتبار المشروعية والجواز[١]: فهذا وقف صحيح متقبل -إن شاء الله تعالى- كالوقف على أعمال الخير من بناء المساجد أو توزيع المياه أو علاج المرضى ونحو ذلك، والنوع الآخر وقف باطلٌ لا يصح كالوقف على المحرمات أو البدع مثل الوقف على بناء القبور وتجصيصها ونحو ذلك.

وللوقف أيضًا تقسيم ثالث باعتبار محلّ الوقف: فالوقف إما أن يكون عقارًا ثابتًا كالعمائر والدور والمصانع والمزارع، أو وقفا منقولًا أي متنقلا كالسيارات والنقود والأسهم، أو وقف منافع كأجرة دار أو عقار أو وقف الحقوق كحقوق الملكية الفكرية أو الإعلامية ونحو ذلك.

لقد كان الصحابي الجليل خالد بن الوليد ﷺ من أكثر أصحاب النبي ﷺ جهادًا في سبيل الله بل لقّبه الرسول ﷺ بأنه سيف من سيوف الله فقال: «نِعْمَ عَبْدُ اللهِ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ، سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ»[٢] وقد انشغل ﷺ بالجهاد في سبيل الله وقيادة المعارك والذّب عن حياض بلاد المسلمين إلا أنه لم يَغفُل عن جانب الوقف في سبيل الله،

---

(١) **ينظر للإفادة**: الإسعاف في أحكام الأوقاف لبرهان الدين بن أبي بكر، محاضرات في الوقف لمحمد أبو زهرة وغيرهما.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٤٦). وصححه الألباني.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أما خالدٌ فإنكم تظلمون خالدًا، فقد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله»[١] والمعنى: أنكم تظلمونه بطلبكم الزكاة منه، إذ ليس عليه زكاة فقد وقف في سبيل الله أدراعه (جمع درع) وأعتاده وهي: آلات الحرب من السلاح والدواب وغيرها. فرضي الله عن خالد بن الوليد.

مَغيبُكَ سَيفَ اللهِ في غِمدِكَ الثَرى ... دَليلٌ بِأَنَّ اللهَ لا شَكَّ واحِدُ

فَلَو أَنَّ فَذًّا خَلَدَتهُ فُتوحُهُ ... لَما كانَ في الأَقوامِ إِلاكَ خالِدُ[٢]

واستقى أهل العلم من هذا الحديث جملة فوائد منها:

* تزكية الرسول الكريم ﷺ وثناؤه على خالد بن الوليد ﷺ وأنه باذل مسابق في الخيرات، ولو وجبت عليه زكاة لأعطاها ولم يشحّ بها لأنه قد وقف أمواله لله ﷻ متبرّعا فكيف يشُح بواجب!! بل كيف به وقد جاد بنفسه في سبيل الله أن يبخل بماله أو دنياه الفانية!!! ويصدق على خالد ة قول الشاعر:

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود[٣]

* ومنها جواز وقف المنقول وأنه من الوقف في سبيل الله الذي يرجى بره وأجره.
* ومنها قاعدة: «كل ما جاز بيعه جاز وقفه بشرط دوام الانتفاع»[٤] كالعقار والحيوان والسلاح والأثاث وأشباه ذلك، أما ما لا يدوم الانتفاع به كالطعام والشراب فلا يوقف.
* ومنها أنه لا يشترط للوقف مبالغ كبيرة، فقد يكون الوقف مصحفًا أو غرس

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٨)، مسلم (٩٨٣).

(٢) الأبيات لشكيب أرسلان.

(٣) الأبيات لمسلم بن الوليد الأنصاري.

(٤) ينظر: فتح القدير للكمال بن الهمام (٦/٢١٨).

نخل أو حفر بئر أو جريان نهر أو عتاد وأدراع في سبيل الله أو غيره مما يصح وقفه.

* ومنها أن أفضل الوقف ما كان أنفع في زمنه للمسلمين فقد يكون الوقف على تعليم العلم أنفعُ وأهمُ في بعض الأزمان، وقد يكون الوقف على الجهاد في سبيل الله أنفع وأهمّ، وقد يكون الوقف على إطعام الطعام وسقيا الماء أنفع وذلك بحسب الأحوال والظروف والأزمان والأماكن.

* ومنها أن ما أُوقف لا تجب فيه الزكاة لأنه خرج من ملك الواقف إلى ملك الله ﷻ فلا تجب فيه الزكاة «فالأشياء الموقوفة لا زكاة فيها»[1].

* ومنها أهمية الأوقاف المخصّصة للصرف على السلاح والصناعات الحربية حيث كانت خير معين على الجهاد وحماية ثغور بلاد الإسلام وتوفير العتاد لرد المعتدين على بلاد المسلمين.

وهكذا فقد عملت الأوقاف على حفظ بيضة المسلمين وحماية ديارهم والحفاظ على عقيدتهم وتوحيدهم وعلمهم وكرامتهم وسمو أخلاقهم، وهناء حياتهم، وحمايتهم من كل ما يضرهم.

(١) ينظر: «فتاوى اللجنة الدائمة» (٩/٢٩١).

المجلس السابع

الناظر الأمين

المجلس السابع

الناظر الأمين

أمرت الشريعة الإسلامية بحفظ الأموال العامة فحفظ المال من الضرورات الخمس[١] التي هي مقومات بقاء الأمم وسعادتها؛ ولأن الوقف ملك لله ﷻ احتاج إلى والٍ عليه أو قيّم، وهو ما اصطَلح أهل العلم على تسميته بناظر الوقف أو المتولي أو القيّم أو والي الوقف والمشهور في البلاد العربية إطلاق اسم الناظر على من يتولى شئون الوقف.

واشترطوا له صفات مهمة:

أولها: الإسلام، فلا تصح نظارة الكافر.

ثانيها: التكليف، فلا تصح نظارة الصغير غير البالغ أو المجنون.

ومن صفات ناظر الوقف المهمّة:

الخبرة: أن يكون ذو خبرة في نوع المال الموقوف.

القدرة: كما أن من صفاته أيضًا القدرة على إدارة أموال الوقف.

الأمانة: ومن أجلِّ الصفات وأهمها وأولاها أن يكون أمينًا على هذا المال قال ﷻ: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

والقوة: تستلزم قوة العلم والمعرفة، وتستلزم قوة الجسد والبدن، بحيث يكون قادرًا على العمل بما ينفع هذا الوقف ويرفعه وينميه. **والأمانة** تستلزم أن يكون صادقًا في تصرفاته، أمينًا على الأموال التي تدرّها الأوقاف، ومع الأمانة لابد من المحاسبة والتدقيق ورصد الدفاتر الخاصة بالبيع والشراء والصرف ونحوها، قال ﷻ حاكيًا عن يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ

---

(١) الضرورات الخمس هي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، واعتبر التعدي عليها جناية وجريمة تستلزم عقابًا مناسبًا، وبحفظ هذه الضروريات يسعد المجتمع، ويطمئن كل فرد فيه.

﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥]، ولا شك أن أمانة النظارة على الوقف أمانة عظيمة فهي أمانة على ملك الله ﷻ وهي كبيرة إلا لمن أعانه الله عليها:

ما حُمِّل الإنسان مثلَ أمانةٍ ... أشقَّ عليه حين يحملُها حملا

فإن أنت حُمِّلتَ الأمَانَةَ فاصطبرْ ... عليها فقد حُمِّلتَ مِن أمرها ثقلا[1]

ومن اتقى الله ﷻ في أداء الأمانة أعانه الله عليها ويسّرها له قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤].

وليتأمل كل ناظر حديث النبي ﷺ: «الخَازِنُ المسْلِمُ الأَمِينُ، الَّذِي يُنْفِذُ -وَرُبَّمَا قَالَ: يُعْطِي- مَا أُمِرَ بِهِ كَامِلًا مُوَفَّرًا طَيِّبًا بِهِ نَفْسُهُ، فَيَدْفَعُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ لَهُ بِهِ، أَحَدُ المتَصَدِّقَيْنِ»[2] فهنيئًا لمن احتسب الأجر والثواب.

وكم حدّثتنا القصص المتواترة عن نماء بعض الأوقاف وتضاعف قيمتها بسبب وجود ناظر أمين يراقب الله ﷻ في هذا المال الذي استرعاه الله عليه ومن ذلك:

وقف الحاج رحيم التركستاني في مكة: حيث كان أصل الوقف عام ١٣٠٧هـ عبارة عن غرفتين فقط، وفي عام ١٣٨٩هـ أصبح ريعه ٣٠٠,٠٠٠ ريال، وفي عام ١٤١٦هـ كان الوقف يملك ثلاثة أبراج في مكة ثم حصلت للوقف نقلة كبيرة عندما تولى نظارته أستاذ جامعي فتفرغ له وطوّر استثماراته، وحوّله لإدارة مؤسسية فأصبح الوقف في عام ١٤٣٣هـ يملك (١١) برجًا في مكة يقدر أحدها بـ (٤٠٠ مليون ريال)، وبعد التوسعة الحديثة للحرم أصبحت بعض أبراج هذا الوقف تطل أو قريبة من ساحات الحرم مباشرةً.

---

(١) الأبيات للعرجي، وله ديوان مطبوع.

(٢) رواه البخاري (١٤٣٨)، ومسلم (١٠٢٣) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

كما حكى بعض المهتمين في محافظة الرس -إحدى مدن منطقة القصيم- قال وقفت امرأة تسمى عائشة المرشد ﷺ بمحافظة الرس عام ١٢١٣هـ قطعة أرض خارج البلد، وجعلت ريع الوقف على محفظي القرآن الكريم، وظل الوقف قرابة مئتي عام لا يعرف، إلى أن أحياه بأمر الله قاضي البلد في حينه (معالي الشيخ عبد العزيز بن حميّن) -حفظه الله- وبعد توسّع العمران أصبحت الأرض الموقوفة داخل البلد، فبيعت بثلاثين مليون ريال لصالح جمعية تحفيظ القرآن الكريم بمحافظة الرس، والآن تقدّر قيمة الوقف بـ ١٥٠ مليونا.

وهذه المرأة ﷺ لم يعرف لها ذرية، ولكنّ نحسب أن صدقها وإخلاصها جعل لهذا الوقف هذه المنزلة، ﷺ وأسكنها فسيح جناته[١].

ولو كان النساء كمن فقدنا ... لفُضّلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ... ولا التذكير فخر للهلال[٢]

وهكذا تتوالى القصص والمآثر عن الأوقاف في سائر بلاد الإسلام ولله الحمد والمنة.

ويستقى من مثل هذه القصص والمواقف جملة من الفوائد والعظات منها:

* أهمية توثيق الوقف وإثباته لدى الجهات المختصة أو الإشهاد عليه وعدم إهماله أو تركه مما يتسبب في ضياعه أو التعدي عليه.
* أن على ناظر الوقف واجبات مهمة، منها: تنمية مال الوقف وأداء ديونه، وتحصيل ريعه، وعمارته وإصلاحه، وحفظ الأصول وثمراتها، والدفاع عن حقوق الوقف وتنفيذ شروط الواقف.

---

(١) من مقال بعنوان أوقاف مباركة د. عبدالرحمن الجريوي، الأمين العام لمركز استثمار المستقبل للأوقاف والوصايا سابقًا:

(www.estithmar.org)

(٢) الأبيات للمتنبي.

* حمايةً لأصل الوقف وحفاظًا عليه جاءت شريعة الإسلام بمنع الناظر من بعض الأعمال التي قد تضرّ بالوقف كمحاباته لأقاربه أو معارفه وتمكينهم من الإفادة من الوقف وذلك سدًّا للذريعة، كما أنه ليس لناظر الوقف أن يستدين على الوقف، وكذلك أيضًا لا يجوز للناظر أن يرهن الوقف أو أي عين من أعيانه؛ لأن هذا التصرف قد يتسبب في ضياع أملاك الوقف أوتعطيلها.

* وحكى غير واحد من أهل العلم اتفاق الفقهاء على ضرورة صيانة الوقف وعمارته؛ لأجل استمرارية نفعه وأن يكون هذا المصرف مقدمًا على جميع المصارف، فعمارة الوقف والمحافظة عليه من أهم أولويات ناظر الوقف، لأنه إذا أُهمل ولم يتم ترميمه وصيانته أدى ذلك إلى خرابه وهلاكه.

لذا فمن الممكن أن يقال:

إن من عوامل نجاح الأوقاف أن يتولاها الناظر الأمين الذي يراقب الله تعالى فيما يدع ويذر، وأن يكون ذو دراية وقدرة على تطويرها وإعمارها وإدارتها الإدارة الحكيمة.

المجلس الثامن

بين الوقف والوصية

المجلس الثامن

بين الوقف والوصية

الواقف في سبيل الله ﷻ تغلَّب على شهوة حب المال التي زينها الله ﷻ فقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾[آل عمران: ١٤].

وقال ﷻ: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠] فتخلّى الواقف عن ذلك وبنى للمسلمين بيتًا يصلون فيه لله ﷻ أو شيَّد مَشفى يُعالَج فيه فقراؤهم ومحتاجوهم، أو بنى دارًا يسكن فيها الغريب وعابر السبيل، أو وفَّر أجهزةً طبية يُعالَجُ بها أصحاب العاهات من العمى أو الصمم أو أمراض الكُلى ونحوها، أو خطَّ طريقًا أو أضاء دربًا أو نشر علمًا، كل ذلك ابتغاءَ مرضاتِ اللهِ ﷻ فهنيئًا لمن حسن قصدهُ، ووفق للوقف في سبيل الله ﷻ.

ويلجأ بعض المحسنين إلى الوصية دون الوقف فيكتب في وصيته لورثته أن يبنوا له مسجدًا أو يوقفوا له عقارًا أو يتصدقوا عنه إذا مات وربما كان حامله على ذلك البخل بالمال وغلبة حبه والله المستعان، ولم يدرك أن حاجته الحقيقية إلى المال هي بعد أن يوسد التراب ويفارق الأهل والأَحبابَ والأصحابَ، ثم هو لا يدري أيجعل الله في ورثته البركة والصلاح فيجرون ما أوصى به؟ أم ينشغلوا بالدينا وملذاتها فيهملوا وصية مورثهم؟ والله المستعان.

قصة عجيبة:

أوصى أحد كبار التجار بنيه من بعده أن يبنوا له مائة جامع في أقطار العالم، فلما تُوفي اختلف بنوه من بعده في المال والتركة، وتنازعوا وتلاحوا حتى نسوا وصية والدهم فأُهملت فلم يُبن من هذه المائة مسجد واحد .. والله المستعان.

فكـم مـن صـحيح بات للمـوت آمنـا أتتـه المنـايا بغتـة بعـدما هجـع
فلـم يسـتطع إذ جـاءه المـوت بغتـة فـرارًا ولا منـه بحيلتـه امتنـع[١]

وفي المقابل حدثني أحدهم يقول: كان جارنا رجلًا كبيرًا في السن ومحبًا للخير، وفي يوم من الأيام دعا جارنا والدي في بيته وطلب منه أن يشهد معه على وصيته لأولاده بأن يبنوا له مسجدًا بعد وفاته، قال الراوي: وكان والدي ﷺ حكيمًا فقال: ولم توصي أولادك بهذا العمل؟! لم لا تبنيه أنت؟!، فقال الجار: أنا رجلٌ كبير في السن ولا أقدر على متابعة بناء المسجد، قال الراوي: فقال له والدي: أنا أُشرف عليه، قال: فتعاونت مع والدي في الإشراف على بناء المسجد وما هي إلا أشهرٌ قليلةٌ حتى بُني هذا المسجد، قال: فأمدّ الله في عمر هذا المحسن وصَلَّى في المسجد قرابة عشرين سنة!.

كما أن الوقف يفضّل على الوصية وذلك لأن أجر الوقف يبدأ من حين عقد النية عليه والعمل به في حال حياة الإنسان، بخلاف الوصية فإنها تكون بعد الموت، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الغِنَى، وَلاَ تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ»[٢].

ومنها أن الوقف عمل صالح يقدّمه الإنسان بين يديه قبل أن يلقى الله ﷻ وقد شبّهه بعض العلماء[٣] بأنه مثل السراج في الليل لا يستفيد من الإنسان إلا إذا كان أمامه بخلاف الوصية فإنها مثل السراج إذا وضعه خلفه فلا ينتفع به في الغالب.

---

(١) الأبيات لسابق البربري، وله ديوان مطبوع.

(٢) البخاري (١٤١٩)، ومسلم (١٠٣٢).

(٣) منهم الشيخ ابن سعدي ينظر مواقف اجتماعية من حياته ﷺ ص ٥٩.

ومما يرغّب في الوقف أنه يحقّ للواقف أن يشترط استفادته هو وورثته من الوقف مدى الحياة.

كما أن من الفوارق بينهما أن الوصية لا تجوز إلا فيما دون الثلث لحديث سعد بن أبي وقاص ﷺ وفيه توجيهه ﷺ لسعد ألا يوصي بأكثر من الثلث وقال له: «الثلث والثلث كثير»[١] حتى ذهب بعض أهل العلم إلى أن الوصية بالربع أفضل من الوصية بالثلث، وجاء عن ابن عباس ﷺ أنه قال: لو غضّ الناس[٢] إلى الربع، لأن رسول الله ﷺ قال: «الثلث والثلث كثير»[٣] أما الوقف فإنه يصحّ في المال كله ما لم يضر بالورثة شريطة ألا يكون في المرض المخوف الذي يُخشى فيه على صاحبه من الهلاك، والله المستعان.

كما أن من الفروق بينهما أن الوصية لا تجوز للورثة لقول النبي ﷺ: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث»[٤] بخلاف الوقف فإنه يجوز للورثة لاسيما مع ضعفهم أو حاجتهم.

ويستقى مما سبق بعض العبر والعظات ومنها:

* أن على من ملّكه الله مالًا وأراد الصّدقة أن يبادر حال الحياة فهو أرجى للأجر والثواب وأدعى لسرور العبد برؤية ماله الذي رزقه الله إياه مدّرًا نافعًا قال ﷻ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].
* أن يحرص المسلم على توثيق ما أنفقه في سبيل الله مع بيان مصارفه فهو أحفظ

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٥)، مسلم (١٦٢٨).

(٢) غضّ الناس: نقصوا في وصاياهم عن الثلث واكتفوا بالربع.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٤٣)، مسلم (١٦٢٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٨٧٠) و(٣٥٦٥)، والترمذي (٢٢٥٣) وابن ماجة (٢٧١٣)، وصححه الألباني من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ.

له وأمثل لأمر الله ﷻ يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٨٢].

* فضل الهمة والعزيمة في الخير والمسارعة إليه قال الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

* أن الإنسان لا يدري متى يفجأه الأجل ويباغته الموت ولا أين يكون ذلك ولا كيف والله المستعان، قال ﷻ: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

المجلس التاسع

الأدوار العامة للوقف الإسلامي

المجلس التاسع

الأدوار العامة للوقف الإسلامي

منذ وفاة النبي ﷺ والمسلمون في الجملة سائرون على نهجه، متبعون لخطاه، ولقد رأى الصحابة ﷺ أن الأوقاف من أجلّ القربات والطاعات، ومن الأعمال الصالحات الباقيات إلى ما شاء الله ﷻ ثم انقضى جيل الصحابة ﷺ، وتوالت الأجيال بعدهم إلى يومنا هذا يأتمون بهم ويسيرون على نهجهم، فأبدعت حضارة الإسلام عبر القرون الأربعة عشر من الأوقاف النافعة على المستويات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية.

ولقد شمل الوقف في التاريخ الإسلامي كل الجوانب الحضارية المهمة من إقامة المساجد العامرة، والمكتبات، والبيمارستانات (المستشفيات)، والأسبلة، والآبار، والحمَّامات[1]، والمدارس وكان من أبرز أدوار الوقف رعاية الفقراء والمعوزين، وسداد ديون الغارمين، فكان الوقف تلبية لكل متطلبات المجتمع الإسلامي على جميع الأصعدة المختلفة.

ففي الجانب الديني: وجدنا للوقف دوره الذي لا يمكن إنكاره، فآلاف المساجد الموجودة في كل البلدان الإسلامية هي في الحقيقة أعيانٌ موقوفة أراد أصحابها من وقفها الخير والأجر والمثوبة.

وفي الجانب العلمي: وجدنا مئات المدارس الموقوفة لطلبة العلم من أجل تحقيق أغراض الواقفين، ورفعة شأن الأُمَّة الإسلامية في جانبها العلمي.

ومن الأوقاف العلمية البارزة:

ما كان يسمى بـ «خزانات العلم» وهي (المكتبات الوقفية) التي كان يوقفها السلاطين والعلماء ووجهاء البلدان وما تحويه من كتب نادرة ونفيسة.

وإليكم هذه القصة الفريدة لوقف نافع في مكة شرفها الله .. وهي قصة امرأة مؤمنة من ثريات الهند تُدعى صولت النساء بيغام قامت ببناء مدرسة لتعليم العلوم الشرعية في

---

(١) مفرد حَمّام: وهو مكانٌ يُغْتَسل فيه، ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/٥٦٧).

حدود الحرم المكي وتعتبر هذه المدرسة أول مدرسة عربية نِظاميَّة بالبلد الحرام وبالحجاز كله.

قدِمت هذه المرأة الفاضلة سنة ١٢٨٩ هـ من مدينة «كلكتا»[١] بالهند حاجَّةً بيت الله الحرام، وكانت ترغب في إنشاء رباط تَقِفُه على الحجَّاج، وكان هذا النوع من الرباطات من أهم وأشهر الأوقاف المعروفة وقتئذٍ، لكنَّ أحد علماء الهند المقيمين في مكة وهو الشيخ محمد رحمت الله ﷺ صرف نظرَها عن ذلك لكثرة الأربطة، مُقنعًا إياها بأهمية وأسبقيَّة بناء المدرسة، فبادرت المرأة بالتبرع بمالها، وفوَّضت الشيخ بشراء الأرض والإشراف على البناء.

وتم افتتاح المدرسة وانتقال الطلبة إليها عام ١٢٩١هـ وأطلق على المدرسة اسم «الصولتية» وفاءً لذكرى هذه المرأة وتضمّ هذه المدرسة سكنًا للطلاب الفقراء ومكتبة ضخمة وقد أوقف عليها أوقاف كثيرة ودرس بها وتخرج فيها عدد من القضاة والعلماء وأعيان مكة ولا تزال هذه المدرسة قائمة بفضل الله ﷻ.

قال عنها الشيخ أحمد بن إبراهيم الغزاوي ﷺ:

أُمَّ المـــدارسِ لا برحْـــتِ عظيمـــةً ... بالنـورِ يَبـزُغ مـن سَـناكِ ويُنشَـرُ

قـــد خلَّـــد التـــاريخُ عنـــك مـــآثرًا ... يزهـو بهـا العِلـمُ الصـريح ويَفخَـرُ

قـــد كنـــتِ أولَ معهـــدٍ باهَـــت بـــهِ ... أمُّ القُـــرى وهفـــا إليـــه الأكثَـــرُ

وتثقَّفـتْ فيـكِ الرجـالُ علـى التُّقـى ... والشـرقُ في فَوضـى الهَـوى يَتـدهْوَرُ

فامضـي إلى الأهـدافِ واسـعةَ الخُطـى ... فلأنـتِ أحـرى بالثَّنـاء وأجـدَرُ[٢]

---

(١) كلكتا مدينة هندية تقع شرق الهند، وكانت عاصمة الهند القديمة قبل نيودلهى حتى ١٩١١.

(٢) أنظر: مقال بعنوان: مدرسة «الصولتية» معلمة بجوار الحرم المكي، د. محمد سعيد صمدي، موقع شبكة الألوكة: (www.alukah.net)

كما كان للوقف أدواره الاجتماعية الكبيرة فساهم في توفير الاحتياجات الأساسية للمجتمع المسلم، فعفّ المسلمون بالوقف فقيرهم، وحصَّنوا أيِّمهم، وسدُّوا خلة محتاجهم، وأطعموا جائعهم وكسوا عاريهم، وداوَوْا مريضهم، وقاموا بذلك حق قيام.

كما قام الوقف على مرّ عصور الإسلام بأدواره المتعددة في خدمة المجالات العسكرية كإنشاء المصانع وتوفير السلاح والعتاد للمجاهدين في سبيل الله ومفاداة الأسرى.

ولقد كان للوقف دوره البالغ وأثره الكبير في حماية حياض ديار الإسلام والدفاع عنها، وتأييد المجاهدين في سبيل الله والمنافحين عن سنة خير المرسلين ﷺ.

نزعْنا السَّرجَ عن ظَهرٍ تعالى ... بعزَّةِ أمَّةٍ كانتْ مثالا

بها التاريخُ سلَّ المجدَ سيفًا ... لأجيالٍ تعشَّقتِ النضالا[1]

ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط بل تعداه إلى ما تغطيه الحاجات الكمالية للمسلمين كالترفيه عن فقراء المسلمين، وتسليتهم، ومن غريب الأوقاف وأجملها (قصر الفقراء) الذي عمَّرَه في ربوع دمشق نور الدين محمود زنكي رحمه الله، فإنه لما رأى ذلك المنتزه مقصورًا على الأغنياء عزّ عليه ألا يستمتع الفقراء مثلهم بالحياة فعمّر القصر ووقف عليه قرية (داريّا) المشهورة في سوريا -عمَرها الله بالطاعة ورفع عنا وعنهم البلاء- وكانت داريّا أعظم ضياع الغوطة وأغناها وأكثرها شجرًا وخضرة فكانت متنفسًا جميلًا للفقراء والمحتاجين الذين لا يقدرون على أن يتنزّهوا بأموالهم.

وتمجيدًا لعمل نور الدين محمود زنكي الذي عمَّرَ (قصر الفقراء) وجعله متنزهًا لهم أنشد في ذلك تاج الدين الكندي:

إنّ نور الدين لما أن رأى ... في البساتين قصور الأغنياء

عمَّر الربوة قصرًا شاهقًا ... نزهة مطلقة للفقراء[2]

---

(١) الأبيات لزاهية بنت البحر ولها ديوان مطبوع.

(٢) للاستزادة ينظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر.

إن الوقف بهذا التصور العظيم كان من عوامل نهضة المسلمين وعزّهم وقوتهم، وعندما بدأت موجات الاستعمار تترا على أوطان المسلمين أدرك أعداء الدين ما لنظام الوقف الإسلامي من قوة في دعم المؤسسات العلمية والخيرية وتقدم الحضارة والثقافة الإسلامية، ومن ثمّ حاولوا جاهدين إلغاء الأوقاف في كثير من البلاد الإسلامية، فتسلطوا على الأوقاف التي كانت في مصر والعراق والشام وشمال أفريقيا وتركيا وغيرها من بلاد المسلمين وألغوا ما كتب فيها من مدونات ووثائق وأخفوها وتوازعوا أراضيها وأملاكها ووضعوا أيديهم عليها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لذا كان على المسلمين:

* نشر الثقافة الوقفية بين المسلمين وبيان أحكامها والتوعية بها وترغيب المسلمين فيها.
* التحذير من الاعتداء على الأوقاف والاحتساب على من أكل أموالها بلا حق وتعدى عليها.
* حماية الأوقاف وحفظها وسنّ الأنظمة المحكمة لإدارتها ونظارتها والقيام عليها.
* الحرص على توثيق الأوقاف وتدوينها فهو أدعى إلى بقائها والمحافظة عليها من أيدي العابثين والمعتدين.

المجلس العاشر

دور الوقف في تلبية حاجات المجتمع

المجلس العاشر

دور الوقف في تلبية حاجات المجتمع

تتعدد احتياجات الناس وتتنوع على مرّ العصور والأزمان، ويبقى الوقف الإسلامي شامخًا ملبيًا كافة هذه الاحتياجات البشرية والإنسانية مؤكدا كمال الدين الإسلامي ومواكبته لكل زمان ومكان قال الله ﷻ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

كان الوقف في عصور الإسلام الأولى يقوم على ما يلبي جميع الاحتياجات على مستوى الدولة وعلى مستوى الأفراد، فالتعليم كان يقوم على الوقف في إنشاء المدارس وحلق العلم والكتاتيب، والقيام بواجب العلماء وسدّ احتياجاتهم، كما كان الوقف يقوم على تلبية الاحتياجات الاجتماعية ومنها توفير المساكن للمحتاجين وتجهيز الأعراس ومساعدة الأيتام والأرامل، وعلى المقابر وشؤون الموتى ونحو ذلك.

كما كان للوقف دوره في تذليل الطرق وخدمة المسافرين وتنظيم شؤون البلد بشكل عام.

والمتأمل في واقع المسلمين اليوم مع انتشار الإسلام وتعدد جنسيات أهله وبلدانهم ولغاتهم يجد أن الحاجة ماسّة إلى التجديد في مصارف الأوقاف بما يلبي هذه الاحتياجات ويقوم عليها ومن ذلك:

١. الوقف على الأقليات الإسلامية في بلدان العالم المختلفة وإنشاء المراكز الإسلامية والجوامع وكفالة الأئمة والدعاة إلى السنّة، لاسيما مع انتشار بعض المذاهب البدعية الظاهرة كالرفض والتشيع والتصوف والمذاهب التكفيرية والجماعات الإرهابية التي تشوه صورة الإسلام وتحاربه من الداخل، والله المستعان.

٢. الوقف الاجتماعي ومراعاة احتياجات بعض فئات المجتمع كالأرامل والمطلقات

والمعاقين حركيا أو عقليا ونحوهم.

٣. الوقف على المناشط الدعوية للشباب المسلم كالأوقاف على المخيمات الدعوية والملتقيات الشبابية وحملات الحج والعمرة ونحوها.

٤. الأوقاف على الملتقيات العائلية أو الصناديق الأسرية وتوفير مقرّات للعوائل والأسر للقاءات الدورية بين أفراد الأسر لتحقيق شعيرة صلة الرحم والتواصل بين الأرحام والأقارب.

٥. الأوقاف على الإعلام الهادف من قنوات فضائية أو مواقع إلكترونية أو مجلّات وصحف دعوية أو برامج ومشاركات إعلامية هادفة تدعو إلى الخير وترغب الناس فيه.

٦. الأوقاف على العناية بالمسافرين من حيث توفير المصليات المناسبة، ودورات المياه المهيأة والخدمات المساندة، وتوفير فرق المساعدة والمعونة على خطوط السفر ونحو ذلك.

٧. أوقاف التقنية كالأوقاف على إنتاج البرامج الحاسوبية الهادفة، والتطبيقات العلمية النافعة، والشاشات الإلكترونية الدعوية في المساجد والطرقات وأماكن المشي ونحوها.

٨. الوقف على طلاب العلم الوافدين إلى البلاد الإسلامية وهم من اصطلح على تسميتهم بـ «طلاب المنح» حيث يَقدُم هؤلاء من بلاد شتى إلى البلاد الإسلامية لينهلوا من العلم الذي يفتقدونه في بلادهم، ثم يعودون سفراء إلى بلادهم وقد حصّلوا من العلوم -وبالأخص العلوم الشرعية- ما يعينهم على القيام بواجب البلاغ والإصلاح والدعوة إلى الله ﷻ في بلدانهم.

٩. الوقف على صيانة المساجد والعناية بها وإصلاحها وتزويدها بكافة الاحتياجات

الاستهلاكية ونحوها.

١٠. الوقف على النواحي الصحية كإنشاء المستشفيات وإقامة الحملات الصحية وتوفير مراكز غسيل الكُلى والأجهزة والأدوات الطبية لا سيما في الهجر والضواحي البعيدة عن العواصم والمدن، ويتأكد مثل ذلك في بعض البلدان الإسلامية الفقيرة.

١١. الوقف على الجمعيات والمؤسسات الخيرية المنتشرة -ولله الحمد- في طول بلاد المسلمين وعرضها لاسيما الجهات الموثوقة والمعروفة بمنهجها السليم وتوجهها المعتدل المتمسك بالكتاب والسنة.

١٢. الوقف على الأيتام واللُقطاء ومجهولي الأبوين وتوفير المحاضن التربوية الملائمة لهم وسدّ احتياجاتهم الدراسية والاجتماعية والمالية وتهيئتهم ليكونوا لَبِنات صالحة في المجتمع.

وهكذا تتنوع الاحتياجات، فعلى المسلم أن يبحث عن أبواب الخير التي تلامس احتياج الناس وتلبي رغباتهم وتعينهم على الخير والطاعة، وعلى المسلم أن يجتهد في البحث عن الثغرات التي يحتاجها المسلمون فيسدّها ويعين عليها سواء بالوقف بماله أو بدلالته على الوقف أو بتقديم المشورة والرأي للقادرين على الأوقاف وبذل النصح لهم.

والملاحظ: أن بعض الموسرين والقادرين ماليا يحتاجون إلى المشورة والرأي في الأوقاف وإن كانوا أهل حكمة ودراية ومعرفة في أمور التجارة والأموال:

شاور سواك إذا نابتك نائبة ... يوما وإنْ كُنْتَ من أهل المشورات

فالعين تنظر ما دنا ونأى ... ولا ترى نفسها إلا بمرآةِ[1]

وليعلم الناصح الأمين والمشير أنه مؤتمن فعليه أن يبذل جهده في النصح والمشورة وأن

(١) الأبيات لأبي الحسن الجرجاني، وله ديوان مطبوع.

يحفظ سرّ من استشاره وطلب نصحه، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «المستشار مؤتمن»[١] فعليه أن يقوم بالواجب وأن ينصح لإخوانه المسلمين.

وليبشر من دلّ الناس على الخير وكان سببا فيه فإن أجره كأجر المتصدق والباذل عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الدّال على الخير كفاعله»[٢] وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئا»[٣].

(١) أخرجه أبو داود (٥١٢٨)، والترمذي (٢٥٢٦) و(٣٠٣٣)، وابن ماجة (٣٧٤٦)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٧٠)، وقال الألباني حسن صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

المجلس الحادي عشر

الوقف شاهدٌ على حضارة المسلمين وعزهم

المجلس الحادي عشر

الوقف شاهدٌ على حضارة المسلمين وعزهم

سادت حضارة المسلمين الشرق والغرب حتى حققت لهم الأوقاف الإسلامية الاكتفاء الذاتي عن الحاجة لغيرهم من الأمم والشعوب مصداقًا لقول النبي ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها ...»[١].

بل أصبحت الأمم والشعوب تحتاج إلى المسلمين وصناعاتهم وعلمهم وتطورهم، فلم يبق غرض من أغراض الحياة إلا وقف المسلمون الأوائل عليه فعفوا بذلك فقيرهم، وحصَّنوا أيِّمهم، وسدُّوا خلة محتاجهم، وأطعموا جائعهم وكسوا عاريهم، وداوَوْا مريضهم، وقاموا بذلك حق قيام حتى صار يشار بالبنان إلى حضارة المسلمين.

والملاحظ عبر تاريخ العصور أن المجتمعات متى ما اهتمت بالوقف واعتنت به عزّت وظفرت وسادت، ومتى تخلّت عنه أو أهملته أو اعتدت عليه ذلّت وصغرت في عيون أعدائها وتسلطوا عليها.

وهكذا

... عندما كانت أمة الإسلام في عزّة ومنعة كانت أوقافها شامخة تغطي احتياجاتها وتقوم بمصالحها ولما تأخّرت الأمة في شأن الأوقاف تسلّط عليها الأعداء واستعمروا ديارها وبدأوا بالأوقاف فاستولوا عليها وتملكوها وتقاسموا ممتلكاتها، والله المستعان...

يقول شكيب أرسلان: الإفرنج لا يكرهون شيئا في الدنيا كرههم للأوقاف الإسلامية ولا يخافون في مستعمراتهم من شيء كمخافتهم منها، لأنهم يعتقدون أن المسلمين إذا أحسنوا إدارتها وضبط حاصلاتها كان لهم منها منبع إعداد عظيم في أمورهم السياسية فلذلك

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

تراهم يسعون بقدر طاقتهم في محو رسومها(١).

ومما يشهد لعزّ المسلمين وغلبتهم قيام الأوقاف الإسلامية بأدوار متعددة في جميع بلاد الإسلام، حيث كانت المساجد والمشافي والمدارس وعموم مرافق الدولة تقوم على الأوقاف وريعها وغلّتها حتى أُوقِفَتْ مدنٌ بأكملها على إصلاح أحوال المسلمين والقيام بشؤونهم، ومن تلك الأوقاف الإسلامية التي ترسم لنا ملامح الرحمة والرأفة في عصر الدولة الأيوبية ما قام به صلاح الدين ﷺ حيث أقام وقفًا لإنشاء ميزاب يسيل منه الحليب في إحدى القلاع بدمشق، كما جعل ميزابًا آخر يسيل منه الماءُ المذابُ فيه السكر، وتأتي الأمهات إليه يومين في الأسبوع ليأخذن منه ما يحتجن إليه من الحليب والسكر كما ذكر ذلك بعض المؤرخين، وذكر بعضهم أن الذي حمله على ذلك هو ما أصاب بعض نساء المسلمين من شحوبٍ وهُزَالٍ(٢).

وعلى صعيد الوقف الصحي فقد اهتمّ الأمير نور الدين محمود زنكي ﷺ بإنشاء المستشفيات الخيرية في كل المدن التابعة لدولته، وقد أوقف عليها ما لا يكاد يُحصى من الأوقاف، فمن المستشفيات المشهورة في الإسلام المستشفي النوري الكبير الذي أنشأه نور الدين محمود ﷺ بدمشق عام ٥٤٩ هـ، وقد وقفه على الفقراء والمساكين، وكان من أحسن المستشفيات في الدنيا، وظل يعملّ حتى عام ١٣١٧ للهجرة أي قرابة ثمانمائة عام(٣).

لقد سادت حضارة المسلمين الأوائل سائر الأمم فكانت أمتنا الإسلامية محطّ أنظار العالم، حتى كان الإفرنج والروم ينهون أولادهم عن تقليد المسلمين أو التشبه بهم.

---

(١) ينظر: الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف، شكيب أرسلان، ص٩٠.

(٢) ينظر: من روائع حضارتنا لمصطفي السباعي: ص٩٨، ٩٩.

(٣) ينظر: الروضتين في تاريخ الدولة النورية، أبو شامة المقدسي: ٩/١.

ورحم الله شاعر الإسلام محمد إقبال يوم قال:

كنا جبالًا في الجبال وربما ... صرنا على موج البحار بحارًا

بمعابد الإفرنج كان أذاننا ... قبل الكتائب يفتح الأمصارًا

لم تنس أفريقيا ولا صحراؤها ... سجداتنا والأرض تقذف نارًا[١]

ومن عجائب الأوقاف ونوادرها التي كانت تنبئ عن عزّ المسلمين وظفرهم ونصرهم وغلبتهم الوقف على تسلية أهل المصائب، ووقف الأعراس بحيث يوقف الحُليُ وبعض أدوات الزينة لكي تستعيرها المحتاجة من نساء المسلمين وتحضر به الزواج وتعيده بعد ذلك، ومنها وقف الأواني لمن لا يجد أو لمن انكسرت آنيته فخاف من سيده عقابًا أو حرمانًا، بل من عجائب الأوقاف أنها طالت حتى البهائم العجماوات، ومن ذلك الوقف على طيور الحرمين الشريفين وإطعامها وكذلك الوقف على أجنحة الطيور المكسورة، بل والوقف -أجلكم الله- على الكلاب التائهة ...[٢].

جاء في كتاب التربية الوقفية أن أَحد المحسنين أراد أن يوقف في سبيل الله فذهب إلى قاضي القاهرة في حينه يستشيره في غرض الوقف (مصرف الوقف) فكان كلما عرض عليه غرضًا من أغراض الوقف أفاده القاضي بأن له وقفًا خاصًا به، حتى دلّه القاضي على غرض لم يوقِف عليه أحد!! فما هو يا ترى؟

أشار عليه القاضي أن يوقف على بغلة شيخ الأزهر بحيث يصرف من هذا الوقف على هذه الدابة في علفها ونفقتها ورعايتها[٣].

---

(١) الأبيات لمحمد إقبال، وله ديوان مطبوع.

(٢) ينظر: تاريخ مكة المكرمة والحرم الشريف لابن الضياء: (ص٢٤٧)، رحلة ابن بطوطة (ص٩٩، وما بعدها)، حاضر العالم الإسلامي لشكيب أرسلان: (٨/٣).

(٣) ينظر: التربية الوقفية -الأمانة العامة للأوقاف أُنْمُوذَجًا- دولة الكويت، (ص: ١٢٥).

إنك بقدر شعورك بالعزّ والفخر من تذكر هذه الحادثة وغيرها إلا أنه يعتريك الأسى والندم على حال المسلمين اليوم، والله المستعان.

ويستقى من ذلك عدة فوائد:

* ما كان عليه المسلمون من عزّة وما كانوا فيه من حضارة وتقدّم على سائر الأمم والشعوب.
* قيام الأوقاف الإسلامية بسدّ حاجات المسلمين المختلفة وتعدد مصارف الأوقاف وتنوعها لتشمل الحاضر والمسافر والغني والفقير والذكر والأنثى والصحيح والعليل.
* مراعاة الأوقاف للجوانب الإنسانية وإعفاف المحتاج أو المريض من المسلمين وإغناؤه عن سؤال الناس.

وكأن المعادلة الحضارية تقول:

إذا رأيت أمّة عزيزة قوية فتأكد أن عنايتها بالأوقاف كبيرة والعكس بالعكس .. متى انحدرت الأمة في أوحال الذل والتبعية فتأكد أن أوقافها معطلة أو منهوبة، والواقع خير شاهد على ذلك، والله المستعان وعليه التكلان.

المجلس الثاني عشر

استمرار الوقف وعظيم أثره

المجلس الثاني عشر

استمرار الوقف وعظيم أثره

الوقف الإسلامي مشروع لنهضة الأمة، وعودة عزها وقوتها، ومكانتها، وإحياء سنته ونشرها وترسيخها في الأمة هو استئناف لمسيرة الحضارة الإسلامية المجيدة ودفع للأمة إلى منزلة خير أمة أخرجت للناس قال ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فالوقف من خصائص المسلمين، وهو من الإحسان المستمر ومن التنمية المستدامة ويشهد لذلك هذا الحديث النبوي الشريف عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سبع يجري للعبد أجرهُنَّ وهو في قبره بعد موته: من علّم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورّث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته»(١).

ويجسد هذا الحديث العظيم الأدوار التنموية والإنمائية للوقف وهي كما يلي:

١. من علم علمًا: تنمية علمية وثقافية.
٢. أو أجرى نهرًا: تنمية مائية وصحية.
٣. أو حفر بئرًا: تنمية بيئية واجتماعية.
٤. أو غرس نخلًا: تنمية غذائية وبيئية.
٥. أو بنى مسجدًا: تنمية عبادية وسلوكية.
٦. أو ورّث مصحفًا: تنمية دينية.
٧. أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته: تنمية بشرية(٢).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/٣٩٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم: ٣٦٠٢.

(٢) حلقات إذاعية د. عيسى القدومي ص ٦٨.

وروي عن زيد بن ثابت ﷺ أنه قال: «لم نرَ خيرًا للميت ولا للحي من هذه الحُبُس الموقوفة؛ أما الميت فيجري أجرها عليه، وأما الحي فتحتبس عليه، ولا توهب، ولا تورث ...»[١].

وإليكم هذه القصة الخالدة لزوجة أحد الملوك في العهد الأموي وهي أمة العزيز بنت جعفر بن المنصور الملقبة بزبيدة (زوجة هارون الرشيد) وغلب عليها لقبها «زبيدة»[٢]، وقد نفّذت زبيدة عينًا كبيرةً مع مجاريها لأجل أن يستقي منها الحجاج والمعتمرون نفّذتها زبيدة ﷺ بعد حجها عام ١٨٦هـ حيث أدركت في حجّها مدى الصعوبات التي تواجه الحجاج خلال طريقهم إلى مكة من نقص المياه، وما يعانونه من جرّاء حملهم لِقِرَبْ الماء من تعب وإرهاق، وكان الكثير منهم ينقطعون وربما يموتون بسبب ذلك.

ولذا أمرت زبيدة بحفر قنوات مائية تتصل بمساقط المطر، فاشترت جميع الأراضي في الوادي، وأبطلت المزارع والنخيل، وأمرت بأن تُشقّ للمياه قنوات في الجبال وتمر على مشاعر مكة (عرفة ومنى ومزدلفة) وجعلت في كل مشعر بئرًا تجتمع فيه مياه الأمطار ويَروي منه الناس أيام الحج وغيرها، وقد بلغ طول هذه العين عشرة أميال تقريبًا أي ما يعادل ستة عشر كيلو مترًا تمتد من وادي النعمان شرق مكة مرورًا بالمشاعر، ولا تزال بقايا آثارها إلى يومنا هذا وإن كانت قد استُغني عنها مؤخرًا بعد إنشاء شبكات المياه الحديثة.

وقد وصف اليافعي «عين زبيدة» في القرن الثامن للهجرة أي بعد بنائها بستة قرون فقال: «إنها مشتملة على عمارة عظيمة عجيبة مما يتنزه برؤيتها على

---

(١) ذكره الخصاف في «أحكام الأوقاف»، فيما رُوي في صدقة زيد بن ثابت، (ص١٢)، وفي كتاب «الإسعاف في أحكام الأوقاف»، إبراهيم الطرابلسي، (ص ٩)، وسنده ضعيف.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد (١٤/٤٣٣)، الأعلام لخير الدين الزركلي (٤٢/٣).

يمين الذاهب إلى منى من مكة ذات بنيان محْكم في الجبال تقصر العبارة عن وصف حسنه، وينزل الماء منه إلى موضع تحت الأرض عميق ذي درج كثيرة جدًا، لا يوصل إلى قراره إلاّ بهبوط كالبئر ...».

لقد أنفقت زبيدة ﵀ الكثير من أموالها وجواهرها لتوفر للحجاج المياه العذبة والراحة وتحميهم من كارثة الموت، وبعد أن أمرت خازن أموالها بتكليف أمهر البنائين والعمال لإنشاء هذه العين؛ أسرّ لها خازن أموالها بعظم التكاليف التي سوف يكلفها هذا المشروع، فقالت له: «اعمل ولو كلّفتك ضربة الفأس دينارًا، وقيل إنه بلغ مجموع ما أنفقته «زبيدة» على هذا المشروع (١,٧٠٠,٠٠٠) مثقال من الذهب[١].

فاعمل لنفسك قبل موتك ذكرها ... فالذكر للإنسان عمر ثاني

وبفعل العوامل الطبيعية فقد تعرّضت عين زبيدة للانقطاع لقلة الأمطار، وطرأ في بعض الأحوال على قنواتها تخريب من أثر السيول، وتوالي الأزمان، وكان الخلفاء والسلاطين الذين تعاقبوا على الحكم في الأقطار الإسلامية إذا بلغهم ذلك تحرّكت هِمَمهم لإصلاح تلك العين التي تتمتع بتلك الهندسة الزبيدية العباسية.

فرحم الله زبيدة وغفر لها وجعل ذلك في موازين حسناتها يوم القيامة.

وفي الوقت المعاصر برزت أيضا إحدى زوجات الملوك وهي المرأة الصالحة الأميرة العنود بنت عبد العزيز بن جلوي وهي زوجة الملك فهد بن عبد العزيز ﵀ حيث كتبت وصيتها في عام ١٣٨٧ هـ وعمرها آنذاك سبعة وعشرون عاما، وجاء في نص الوصية: «وأوصت بثلث مالها أن يجعل في بيت مناسب من بلد الرياض يكون في غلته أضحية واحدة لها ولوالديها والباقي من الغلّة بعد الأضحية يصرف في وجوه البر وأعمال الخير كالصّدقة على الفقراء من الأقارب وغيرهم وعمارة المساجد وتعليق قرب الماء في

(١) ينظر: مرآة الجنان لليافعي (ج٢، ص ٤٨)، بتصرف.

المساجد في أوقات الحاجة إلى ذلك وصناعة الطعام للفقراء في رمضان وغيره حسب ما يراه الوكيل، وغير ذلك من وجوه البر» وقد حرر وصيتها ﷺ سماحة الإمام عبد العزيز بن باز ﷺ رحمة واسعة وأسكنه فسيح الجنان.

وقد بارك الله في هذه الوصية وتولاها الأكفاء من النظار والإداريين ونشأت عنها مؤسسة من أعظم المؤسسات الخيرية ثم أنشئ لدعمها فرع للاستثمار يشرف على العقارات الموقوفة وينميها حتى أصبحت هذه المؤسسة شامة في جبين العمل الخيري في المملكة العربية السعودية، وأصبح لهذه المؤسسة استثمارات ضخمة تدرّ على الأعمال الخيرية التي تشرف عليها مثل رعاية حلقات تحفيظ القرآن الكريم ومدارسه ونشر العلم الشرعي والتدريب للجهات الخيرية وسقي الماء والمبادرات الشبابية ورعاية التطوع ونحو ذلك من الأعمال المميزة التي تقوم بها هذه المؤسسة الرائدة في عمل الخير(١).

ويستقى مما مضى جملة من الفوائد والعظات منها:

* المبادرة بفعل الخير واحتساب الأجر من الله ﷻ وعدم التواني أو التأخير والتسويف.
* العناية بكتابة الوصية الشرعية والمبادرة إلى ذلك ولو كان الإنسان صغيرًا في السن فإنه لا يدري ما يعرض له، قال ابن الجوزي ﷺ: «إياك والتسويف، فإنّه أكبر جنود إبليس»(٢).
* ومنها استشارة أهل العلم والفضل في صياغة وثيقة الوقف أو الوصية وتحريرها والإشهاد عليها فإن ذلك أدعى لحفظها والعمل بها.
* ومنها دور العمل المؤسسي في نجاح الأوقاف، وأنه من أكبر العوامل المساعدة

---

(١) للاستزادة ينظر: امرأة استثنائية زوجة ملك، د. يوسف بن عثمان الحزيم.

(٢) صيد الخاطر، لابن الجوزي ص٢٠٦/١.

على تنظيم العمل وجودة تنفيذه ومن ثم رؤية الثمار اليانعة له.

* ومنها أهمية الاستثمار في الأموال الوقفية وتدويرها وتحريكها وتنميتها وفق ضوابط احترازية تحفظ أصل المال وتنمي الريع كي يستمر النفع والعطاء.

المجلس الثالث عشر

من أوقاف الصحب الكرام رضي الله عنهم

المجلس الثالث عشر

من أوقاف الصحب الكرام ﷺ

إن الوقف في سبيل الله تغلب على شهوة حب المال، وانتصار على النفس في إلزامها ببذل هذا المال لله ﷻ، فهو منه وإليه، قال ﷻ آمرًا أهلَ الإيمان بالإنفاق: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور:٣٣]، فهو مال الله منه وإليه، ينفقه العبد ابتغاء الأجر من الله ﷻ فتحصل له تزكية نفسه وطهارتها قال ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣] فالإنفاق في سبيل الله ﷻ تزكية للنفس وتطهير لها من أدران الذنوب والمعاصي ومن وصف البخل والشح، ومن التعلق بالدنيا والخلود إليها.

وإليكم هذا الحديث الشريف الذي يحكي قصةَ مجلسٍ من مجالسِ الإيمان مع رسول الله ﷺ، سأل ﷺ أصحابه يومًا فقال: «أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أَخَّر»[(١)].

إنها كلمةٌ عظيمة بالغة المعنى عمِلت عملها في نفوس أصحاب رسول الله ﷺ حين علموا أن مالهم الباقي هو ما يقدمونه لله ﷻ وابتغاء الأجر منه فيلقون ثواب ذلك يوم القيامة، حتى جاء عن جابر ﷺ أنه قال: «لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ ذو مقدرة إلا وقّف»[(٢)] قال ابن قدامة ﷺ: وهذا إجماع منهم، فإن الذي قدر منهم على الوقف وقّف، واشتهر ذلك ولم ينكره أحد، فكان إجماعًا[(٣)].

وكما جاء في الآثار أن منهم ﷺ من وقّف بستانه[(٤)]، ومنهم من وقّف داره[(٥)]، ومنهم من

---

(١) رواه البخاري (٦٤٤٢).

(٢) أخرجه أبو بكر الخصاف في «أحكام الأوقاف» وقال الشيخ عبد العزيز بن مرزوق الطّريفي في (التحجيل): إسناده واه.

(٣) ينظر: المغني لابن قدامة (٣٤٨).

(٤) كطلحة ﷺ، ينظر: البخاري (١٤٦١).

(٥) كعقبة بن عامر ﷺ، ينظر: أحكام الأوقاف للخصاف ص: ١٥.

مـن وقّـف أرضـه[١]، ومـنهم مـن حـبّس أدراعـه وسـلاحه[٢]، ومـنهم ومـنهم..، ﷺ وأرضاهم، وإن لنا بهم قدوة وأسوة حسنة.

وكان من أول من بادر إلى الوقف الخلفاء الراشدون الأربعة ﷺ وأرضاهم، فهذا أبو بكر الصديق ﷺ أوقف دورًا له بمكة على ذريته[٣]، وهذا عمر الفاروق ﷺ أوقف أرضًا له بخيبر لم يصب مالًا أنفس منها[٤]، وهذا عثمان ذو النورين ﷺ أوقف بئر رومة وكانت بئرًا شهيرة بالمدينة عذبة الماء[٥] وهذا علي ﷺ أوقف أرضه بينبع[٦] كما أوقف عيونًا له كثيرة ابتغاءً للثواب والأجر من الله ﷻ[٧].

هـم صـفوة الأقـوام فـاعرف قـدرهم ... وعلـى هـداهمُ يا موفـق فاهتـدِ

واحفـظ وصـية أحمـد في صـحبه ... واقطـع لأجلهـم لسـان المفسـدِ

فـالله زكـاهم وشـرّف قـدرهم ... وأحلهـم بالـدين أعلـى مقعـدِ

بـذلوا النفـوس وأرخصـوا أمـوالهم ... في نصـرة الإسـلام دون تـرددِ

مَـن غـيرُهم شـهد المشـاهد كلهـا ... بـل مـن يشـابههم بحُسـن تعبـدِ

ويـلٌ لمـن كـان الصـحابة خصَـمه ... والحـاكمُ الجبـارُ يـوم الموعـدِ[٨]

---

(١) كعمر ﷺ، ينظر: البخاري (٢٧٣٧)، مسلم (١٦٣٢).

(٢) كخالد ﷺ، ينظر: البخاري (١٤٦٨)، مسلم (٩٨٣).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (١١٩٠٠).

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٣٧)، ومسلم (١٦٣٢).

(٥) أخرجه البخاري (١٠٩/٣).

(٦) السنن الكبرى للبيهقي (١١٩٠٠).

(٧) ينظر: تاريخ المدينة لابن شبة (٢٢٢/١).

(٨) الأبيات للدكتور عائض القرني، وله ديوان مطبوع.

وهكذا تسابق أصحاب رسول الله ﷺ على الوقف في سبيل الله تأسيًا بقدوتهم ﷺ وامتثالًا لأمره، قال ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ويستقى مما سبق من هذه القصص والمواقف لأصحاب رسول الله ﷺ ما يلي:

* أن للمال في الإسلام دورًا عظيمًا، «فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»(١)، «واليد العليا خير من اليد السفلى»(٢) إلا أن ميزان حب المال والإقبال عليه أو الرغبة في تملكه موزون بميزان الشرع فلا يدفع المالُ صاحبه إلى التفريط في حق الله ﷻ أو في حق المسلمين، ولا يحمله المال على التبذير والإسراف والخيلاء، وهذا الميزان الدقيق اختصت به شريعة الإسلام، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء:٢٩]، وقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧].
* أن العاقل من يستغل هذه النعمة -نعمة المال- فيما يقربه إلى الله ﷻ والدارِ الآخرة في تفريج الكرب وبناء المساجد ومساعدة المحتاجين وغيرها من سبل الخير.
* أن مال العبد الحقيقي هو ما قدّمه للآخرة، وأما ما يبقيه بعد موته فهو مال ورثته لهم غنمه وعليه غرمه فهم يتنعمون به وهو يحاسب عليه.
* أثر إنفاق المال على العبد المسلم عظيم فهو من أعظم أسباب كثرة الرزق والبركة فيه، لذا أخبرنا حبيبنا ﷺ عن الصدقة فقال: «ما نقصت صدقة من مال»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) جزء من حديث حكيم بن حزام ﷺ، رواه مسلم (١٠٣٣)، والبخاري (١٤٢٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

* أن الواقف المنفق في سبيل الله يجد سعادة وأُنسا حيث يعوّضه الله بإنفاق المال وإخراجه من ملكه بانشراح صدره وراحة باله وطَمَأْنينةَ نفسه مع البركة في المال والصلاح في الولد، قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].

المجلس الرابع عشر

وقف الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه

المجلس الرابع عشر

وقف الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كانت خيبر[١] غزوة عظيمة من غزوات الإسلام ضد أنكى الأعداء وأشدهم بطشا وعداوة للمسلمين إنها غزوة في مواجهة اليهود [٢] قال ﷻ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة: ٨٢].

وقعت غزوة خيبر في محرم من السنة السابعة من الهجرة النبوية الشريفة بعد صلح الحديبية بعشرين يوما وغنم المسلمون فيها غنائم عظيمة؛ حيث كانت غنائم خيبر طعمة من الله لأهل الحديبية مَن شهد منهم ومن غاب، حيث عوضهم الله بها بعدما لاقوا في صلح الحديبية من العناء والتعب.

ففي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «مَا شَبِعْنَا حَتَّى فَتَحْنَا خَيْبَرَ»[٣] وقالت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ قُلْنَا الآنَ نَشْبَعُ مِنَ التَّمْرِ»[٤].

ولما رجع رسول الله ﷺ من خيبر قادما إلى المدينة ردّ المهاجرون إلى الأنصار منحهم التي كانوا منحوهم إياها من النخيل حين صار لهم بخيبر مال ونخيل، وكان ممن غنم في خيبر فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لكنّ الدنيا لم تكن تساوي عند عمر جناح بعوضة رضي الله عنه فجعل همّه الآخرة وقدّم رضى ربه ﷻ.

إن جاع في شدة قومٌ شركتهم ... في الجوع أو تنجلي عنهم غواشيها

جوع الخليفة والدنيا بقبضته ... في الزهد منزلة سبحان موليها

---

(١) خيبر: على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام. معجم البلدان (٣/٤٩٥).

(٢) ينظر: مغازي الواقدي (٢/٦٣٣). جوامع السيرة (١/١٦٧). الدرر في اختصار المغازي والسير (١/١٩٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٤٣).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٤٢).

فمـــن يبـــاري أبا حفـــص وســـيرتَه أو مـــن يحـــاول للفـــاروق تشـــبيها[١]

وهـا هـو ﷺ يحكـي قصـة هـذه الغنيمـة الدنيويـة وكيـف حوّلهـا ﷺ إلى غنيمـة أخروية ...

ذكر الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر ﷺ أنه قال: «أَصَابَ عُمَرُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ هُوَ أَنْفَسُ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُنِي بِهِ؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا». قَالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ: أَنَّهُ لَا يُبَاعُ أَصْلُهَا، وَلَا يُبْتَاعُ، وَلَا يُورَثُ، وَلَا يُوهَبُ. قَالَ: فَتَصَدَّقَ عُمَرُ فِي الْفُقَرَاءِ، وَفِي الْقُرْبَى، وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ الله، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ، لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ»[٢].

إن من أعظم الأوقاف التي يستند إليها في كثير من أحكام الوقف وقف عمر بن الخطاب ﷺ في خيبر.

واستنبط أهل العلم من حديث قصة وقف عمر ﷺ عدة فوائد منها:

* تعريف الوقف وأنه تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة، ومعنى التحبيس أي منع البيع، ونقل المال من ملك الشخص إلى ملك الله ﷺ ومعنى تسبيل المنفعة أي: بذل ريعها ومردودها في أعمال الخير والبر والمعروف كالصدقة على المحتاجين وتفريج كرب المكروبين وتفطير الصائمين ونشر العلم الشرعي وغيرها من أوجه البر.

---

(١) الأبيات لحافظ إبراهيم، وهذه المقطوعة من قصيدته العُمرية التي قصرها على مدح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٧)، مسلم (١٦٣٢)، وغير متمول: أي لا يأخذ فوق حاجته.

* ومن الأحكام المستنبطة من قصة عمر ﷺ أن الوقف لا يباع ولا يوهب ولا يورث بل هو ملك لله ﷻ.
* ومن الأحكام كذلك أن المصارف الأكيدة ينصّ عليها في وثيقة الوقف كما نصّ عمر ﷺ في وقفه على «الْفُقَرَاءِ، وَفِي الْقُرْبَى، وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ الله، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ».
* وقصة وقف عمر ﷺ أصل في مشروعية الأجرة أو الجُعل للناظر بحيث يصرف له من ثمرة الوقف مالٌ محددٌ، أو نسبة معلومة لكي يتفرغ للقيام بشؤون الوقف وإدارته ومتابعة احتياجه وهذا ما اصطلح أهل العلم على تسمية بـ «أجرة الناظر».
* ولا يخفى أن في تحديد أُجرة للناظر تحفيزًا له على الاهتمام بإدارة الوقف والنظارة عليه والعناية به والمحافظة على أصله والسعي في نمائه وزيادته.
* **وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ كثيرًا ما يتمثل بهذه الأبيات:**

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإلهُ ويفنى المالُ والولدُ
لم تغن عن هُرْمُزٍ يومًا خزائنُهُ ... والخلد قد حاولت عادٌ فما خلدوا
ولا سليمان إذْ تجري الرِّياحُ لَهُ ... والإنسُ والجِنُّ فيما بينها تَرِدُ
أينَ الملوكُ التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفد؟
حوض هنالكَ موروذٌ بلا كَذِبٍ ... لا بُدَّ من وردهِ يومًا كما وردوا[1]

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣ / ٢٦٦)، وابن شبه في تاريخ المدينة (٢/٢٢١) والطبري في تاريخه (٢/٥٧٥).

المجلس الخامس عشر

الوقف على القرآن الكريم

المجلس الخامس عشر

الوقف على القرآن الكريم

أنزل الله ﷻ القرآن الكريم وامتن على رسوله ﷺ به فقال ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١] وأودع الله في هذا الكتاب كل ما تحتاجه البشرية من العلوم والمعارف والأخبار والقصص والأحكام والعظات وغيرها قال ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] والقرآن كتاب تربيةٍ وعمل وعلم وهداية قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

لقد حفظ الله ﷻ القرآن الكريم على الأرض بواسطة رسول الله ﷺ الذي استقبله فأحسن الاستقبال، وحفظه أتم حفظ، وقام به خير قيام، وبلّغه أحسن تبليغ والشواهد على ذلك كثيرة منها: قوله ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٩]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الأعلى: ٦].

ويتبين من ذلك أن الله ﷻ حفظ القرآن على الأرض بواسطة رسول الله ﷺ ثم أصحابه ﭫ والتابعين وكافة المؤمنين بعد ذلك.

لذا فقد اعتنى المسلمون بكتاب الله ﷻ منذ العهد النبوي إلى عصرنا الحاضر حيث كان أولُ من أمر بجمعه صديق الأمة الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ﭬ وكان سبب أمره بجمع القرآن ذهاب كثير من القراء في مقتل أهل اليمامة ﭫ.

قال زيد بن ثابت ﭬ: أرسل إليّ أبو بكر ﭬ مقتل أهل اليمامة[1] فإذا عمر بن

---

(١) أي: في زمن مقتل أهل اليمامة.

الخطـاب ﷺ عنـده قـال أبـو بكـر إن عمـر أتاني فقـال: إن القتـل قـد اسـتحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر: كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ قال: هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ﷺ قال زيد: فتتبعت القرآن أجمعه من العُسب[١] واللِخاف[٢] وصدور الرجال.. الحديث[٣].

وفي ذلك قال الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ: أعظم الناس في المصاحف أجرًا أبو بكر -رحمة الله على أبي بكر- هو أول من جمع كتاب الله[٤].

ولم يزل أهل الإسلام يولون كتاب الله ﷻ أعظم عناية وأجلّ اهتمام، وكم أوقف المسلمون على مرّ العصور المصاحف في وثائق أوقافهم ووصاياهم، وكم جعلوا من مصارف أوقافهم نسخ المصاحف وطباعتها وتوزيعها، لما علموا من الأجور العظيمة المترتبة على قراءة كتاب الله والعمل به.

ويكفي المسلم أن يتأمل في قول النبي ﷺ كما في حديث عثمان ﷺ: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه»[٥].

---

(١) العسب: جريد النّخل وَاحِدهَا: عسيب، ينظر غريب الحديث لابن قتيبة (٦٦٨/٣).

(٢) اللخاف: جمع لخفة وَهِي حِجَارَة بيض رقاق، ينظر غريب الحديث لابن الجوزي (٣٢٠/٢).

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٧٩).

(٤) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (٥١٣)، الشريعة للآجري (١٢٤١).

(٥) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

وما جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ...»[١].

ورحم الله الشاطبي يوم قال:

وَإِنَّ كِتَـــابَ اللهِ أَوْثَـــقُ شَـــافِعٍ ... وَأَغْـــنَى غَنَـــاءً وَاهِبًـــا مُتَفَضِّـــلاَ
وَخَـــيْرُ جَلِـــيسٍ لاَ يُمَـــلُّ حَدِيثُـــهُ ... وَتَـــزْدَادُهُ يـــزْدَادُ فِيـــهِ تَجَمُّـــلًا
فَيَـــا أَيُّهَـــا الْقَـــارِي بِـــهِ مُتَمَسِّـــكًا ... مُجِـــلاًّ لَـــهُ فِي كُـــلِّ حَـــالٍ مُـــبَجِّلا
هَنِيئًـــا مَرِيئًـــا وَالِـــدَاكَ عَلَيْهِمـــا ... مَلاَبِـــسُ أَنْـــوَارٍ مِـــنَ التَّـــاجِ وَالْحُـــلا
فمـــا ظـــنكم بالنّجـــل عنـــد جزائـــه ... أولئـــك أهـــل الله والصـــفوة المـــلا[٢]

ولقد تواكبت عناية المسلمين بالمصحف الشريف مع التقدم التقني في الطباعة والإخراج وبدأت قصة أعظم عناية بكتاب الله على مرّ التاريخ مع وضع حجر الأساس لمجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة عام ١٤٠٣هـ، وافتتحه خادم الحرمين الملك فهد ﷺ عام ١٤٠٥هـ حيث يُعدُّ هذا المجمع أكبر مطبعة في العالم لطباعة المصحف، وهو إحدى المعالم المشرقة التي تقدمها المملكة العربية السعودية لخدمة الإسلام والمسلمين في مختلف أرجاء العالم، وينتج المجمع سنويا ما متوسطه عشرة ملايين نسخة، ويوزع مثلها على المسلمين في جميع القارات، وقد أنتج أكثر من (١٦٠) إصدارًا و(١٩٣) مليون نسخة، ويُجري المجمع دراسات وأبحاثا مستمرة لخدمة الكتاب والسنة ويضم أحدث ما وصلت إليه تقنيات الطباعة في العالم، والمجمع قصة فريدة وخالدة في عناية المسلمين بكتاب رب العالمين[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٠). وصححه الألباني.

(٢) الأبيات من منظومة حرز الأماني ووجه التهاني للإمام الشاطبي.

(٣) ينظر موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف:

ويستقى من ذلك فوائد جليلة منها:

أن يحرص المسلم على أن يوقف على القرآن الكريم، على طباعته ونشره، وعلى ترجمته وتوزيعه، وعلى تدريسه وتعليمه، وعلى حفظه ومدارسته، وعلى تدبره والحث على العمل به.

* من أعظم أبواب الخير الوقف على جمعيات تحفيظ القرآن الكريم وحلقاته المنتشرة في بلاد المسلمين كي يكون المسلم شريكًا لهم في أجر تعلم القرآن الكريم وتعليمه.
* من صور الوقف على القرآن الكريم أن يسعى المسلم إلى توزيع المصاحف في المساجد وبالأخص المساجد الموجودة في القرى والهجر والأماكن النائية في بلاد المسلمين.
* ومن صور الوقف على القرآن الكريم إنتاج برامج وتطبيقات إلكترونية تخدم كتاب الله وتساهم في نشره امتثالًا لقول الحبيب ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»[1].

=

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

المجلس السادس عشر

الوقف على العِلم

المجلس السادس عشر

الوقف على العِلم

طلب العلم من أجلّ القربات ومن أعظم الطاعات فبالعلم يرفع المسلم الجهل عن نفسه وبالعلم يطيع ربه ويعبده على بصيرة، وبالعلم يسلك سبيل الأنبياء ﷺ بتبليغ العلم والدعوة إلى سبيل الله، وما أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بطلب الزيادة من شيء إلا من العلم قال الله ﷻ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] ويقول حبيبنا ﷺ «العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍ وافرٍ»(١).

ولم يزل المسلمون عبر القرون المتطاولة يولون العلم أكبر عناية وأشدّ اهتمام، ومن أبرز صور عناية المسلمين بالعلم (الوقف على العلم) ويتمثل ذلك في بناء المدارس والمقارئ والكتاتيب والوقف عليها لأجل الصرف على المعلمين والدارسين وعلى الاحتياجات التعليمية من ألواح ومحابر وكسوة وزيت للإضاءة ونحو ذلك.

بل إنه خُصص لإحدى المدارس وهي (المدرسة العُمرية) بالقدس أوقاف كثيرة ذات ريع جزيل ويتضح ذلك من نفقاتها حيث تشتمل على ألف خبزة يوميًا للنزلاء والدارسين -وهذا يشير إلى كثرتهم- ومن نفقاتها أضحية يوم النحر لكل نازل بالمدرسة، ومنها وقف زيت للإضاءة وكسوة وحلوى توزع على الطلبة ونحو ذلك(٢).

وإن من أعجب ذلك وأبدعه ما جاء عن (كُتّاب الضحاك بن مزاحم) في بلاد ما وراء النهر (تركستان حاليًا) حيث روت كتب التاريخ أن هذا الكُتّاب كان يتردد عليه أكثر من ثلاثة آلاف طفل فقير.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، الترمذي (٢٦٨٢)، ابن ماجة (٢٢٣) من حديث أبي الدرداء ﷺ، وصححه الألباني.

(٢) ينظر: الوقف والمجتمع للساعاتي ص٣٧.

واللافت أن ابن جبير قد وصف أحد الكتاتيب في ديار الإسلام بقوله: «وللأيتام من الصبيان محضرة كبيرة بالبلد، لها وقف كبير، يأخذ منه المعلم لهم ما يقوم به وينفق منه على الصبيان ما يقوم بهم وبكسوتهم؛ وهذا أيضًا من أغرب ما يحدث به من مفاخر هذه البلاد[١].

العلـــم مُبلـــغ قـــوم ذروة الشـــرف وصـــاحب العلـــم محفـــوظ مـــن التلـــف
يا صـــاحب العلـــم مهـــلًا لا تدنســـه بالموبقـــات فمـــا للعلـــم مـــن خلـــف
العلـــم يرفـــع بيتـــا لا عمـــاد لـــه والجهـــل يهـــدم بيـــت العـــز والشـــرف[٢]

ومـن عجيـب مـا رُوي في تاريـخ الوقـف علـى العلـم والتعليـم مـا ذُكـر عـن (المدرسـة المستنصـــرية) ببغـــداد في العـــراق وهـــي مدرســـة عريقـــة كبـــيرة أسســـت في زمن العباسيين في بغداد في عام ٦٣٠ هـ على يد الخليفة المستنصر بالله ﷺ وقد شُيدت على مساحة تقارب الخمسة آلاف متر وتطل على شاطئ نهر دجلة بجانب «قصر الخلافة» وكانت مركزًا علميًا وثقافيًا هامًا، وهي مدرسة عظيمة لا نظير لها في الحسن والسعة وكثرة الأوقاف.

قال عنها ابن كثير ﷺ: «لم يُبن مدرسة قبلها مثلها ووقفت على المذاهب الأربعة من كل طائفة اثنين وستين فقيهًا من الطلاب وأربعة معيدين ومدرس لكل مذهب، وشيخ للحديث وقارئان وعشرة مستمعين وشيخ طبّ وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطبّ ومكتب للأيتام، ووقف عليها خزائن كتب لم يسمع بمثلها في كثرتها وحسن نسخها وجودة الكتب الموقوفة بها»[٣].

---

(١) ابن جبير: الرحلة ص٢٤٥.

(٢) الأبيات لأحمد شوقي، وله ديوان مطبوع.

(٣) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٣/١٥٠).

أما مقدار أوقاف المدرسة المستنصرية فيقول الإمام الذهبي ﷺ: «إن ريع وقفها أزيد من سبعين الف مثقال من الذهب وقيمة ما وقف عليها يساوي مليون دينار، ويقول ابن كثير عن نفقات أوقافها: «وجعل لمستحقيها الجوامك (الرواتب المالية) والأطعمة والحلوى والفاكهة وما يحتاجون إليه في أوقاته ووقّف عليها أوقافا عظيمة...»[١] ولا تزال هذه المدرسة قائمة إلى يومنا هذا كبناء أما التدريس فقد توقف بسبب الحروب والفتن، والله المستعان.

وهكذا فإن شواهد عناية المسلمين بالوقف على العلم والتعليم كثيرة جدا وبالذات في حواضر بلاد الإسلام، ولم تقتصر العناية بإنشاء الكتاتيب والمدارس فحسب بل تعدى ذلك إلى وقف المكتبات العلمية وكانت تسمى خزائن الكتب يقوم عليها الولاة والعلماء والموسرون من المسلمين وكانت كثير من المدارس المشهورة تشتمل على «خزائن الكتب» أو المكتبات العلمية والأمثلة على ذلك كثيرة جدا كالمدرسة البيهقية والنظامية والمستنصرية وغيرها الكثير ...

ومن لطيف الأوقاف التعليمية ما ذكره بعض المؤرخين في مدينة «المِذْنَب» بالقصيم حيث وقّفت أوقاف جمة على طلبة العلم في حلقة الشيخ عبد الله بن محمد الدُّخيِّل ﷺ[٢] والذي انقطع للتدريس في جامع المِذْنَب، وكان من تلك الأوقاف سكن لطلبة العلم مكون من بيوت طينية قرب المسجد وخصص ريع أربع مزارع نخيل في مدينة المِذْنَب لصالح طلبة العلم، ووقف يذبح منه كبشان كل يوم لإطعام الطلبة الذين بلغ عددهم آنذاك تسعين طالبًا[٣].

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣/١٦٣).

(٢) توفي ﷺ سنة «١٣٢٤هـ».

(٣) ينظر: الوقف ودوره في دعم التعليم والثقافة في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام، لخالد بن علي الخويطر (ص: ٣٤).

ولا شك أن العلم رفعة لصاحبه في الدنيا والآخرة قال ﷻ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

ويستقى مما مضى ...

* أهمية الوقف على التعليم وعظيم أثره ودوره البارز في نشر العلم.
* لزوم الالتفات إلى الأوقاف التعليمية ومساندة القطاع الخيري للقطاع الحكومي في توفير المدارس وتغطية احتياجاتها وتوفير المكتبات وتحقيق الكفاية لطلبة العلم.
* العناية بطلبة العلم المغتربين «طلاب المنح» الذين يفدون إلى البلاد الإسلامية لأجل تحصيل العلم ومن ثَمّ يعودون لبلدانهم دعاة إلى الله.
* مع تجدد وسائل التقنية الحديثة برزت الحاجة إلى توفير المكتبات الرقمية وخزانات الكتب التقنية والعمل على فهرسة موضوعات الكتب العلمية تسهيلا للباحثين وطلبة العلم.
* أهمية إنشاء المراكز البحثية ومساعدة طلاب الدراسات العليا وتقديم الخدمات العلمية والمساندة لهم وإعانتهم على التفرغ للإنتاج العلمي في شتى العلوم الشرعية والطبيعية وغيرها مما يخدم المسلمين.
* السعي لإنشاء المواقع التعليمية ومواقع العلماء وإخراج علمهم ونشره وإنتاج البرامج التعليمية عبر الوسائل التقنية مما يسهل الوصول إليها في كل مكان وزمان.

المجلس السابع عشر

الوقف على الدعوة إلى الله ﷻ

المجلس السابع عشر

الوقف على الدعوة إلى الله ﷻ

الدعوة إلى الله ﷻ وظيفة الأنبياء والمرسلين ولأجلها بعثهم الله ﷻ.

قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾ [النحل: ٣٦].

وأرسل الله رسوله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

وجعل الله ﷻ الداعين إلى سبيله هم خير الخلق وأحسن الناس قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وعلى هذا سار الرسول الكريم ﷺ ومن بعده الصحب الكرام ﷺ ولم يزل أهل الإسلام منذ ذلك الحين على هذا النهج وذاك السبيل، وما أصدق ما قاله الصحابي الجليل ربعي بن عامر ﷺ حين سأله رستم عن سبب مجيء المسلمين إلى الفرس، فقال له: «الله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ...»[(١)].

وانطلق الصحابة الكرام ﷺ في شتى أنحاء الأرض يدعون إلى الإسلام ويعلمون الناس أمور دينهم ويجاهدون في سبيل الله ﷻ حتى قضوا نحبهم فمنهم من مات في الشام، ومنهم من مات في مصر، ومنهم من مات في اليمن، وفي خراسان، وبلاد فارس والروم.

وهكذا لم يزل دين الله ينتشر حتى صار المسلمون يشكلون ربع الكرة الأرضية، وبلغ

---

(١) ينظر: تاريخ الطبري (٥١٨/٣).

تعدادهم مليار ونصف المليار أو قريبًا منها، وأصبح الإسلام أسرع الأديان انتشارًا وذلك بفضل الله ﷻ ثم بفضل جهود المخلصين من العلماء والدعاة والمصلحين.

وكان لابد لهذا الجهد العظيم من رعاية ودعم، فالمال عصب الحياة، وبه قوام الدنيا والدين، ولقد أدرك المسلمون الأوائل هذه الحقيقة، فبذل الموسرون منهم رؤوس أموالهم في سبيل الدعوة إلى الله ﷻ وتعليم العلم النافع، فشيّدت المدارس، وأقيمت الرحلات العلمية والدعوية، ودُعم الجهاد في سبيل الله ﷻ لإعلاء كلمة التوحيد، ونشر دين الإسلام في المعمورة إبراءً للذمة وإقامة للحجة، ثم أنشئت بعد ذلك في بلدان الإسلام الوزارات المهتمة بالدعوة إلى الله وبالشؤون الدينية والإسلامية، وجَعلت من أبرز أهدافها التوعية الإسلامية وتبليغ دين الله والدعوة إلى سبيل الله بالعلم والحكمة.

وإن من أبرز صور الدعوة إلى الله في زماننا الحاضر ما تقوم به مكاتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في بلادنا الحبيبة -المملكة العربية السعودية- حيث حملت على عاتقها همّ تبليغ دين الله، وتوعية المسلمين بأمور دينهم، ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام، سواء عبر الطرق المباشرة بتوظيف الدعاة إلى الله، وتفريغهم لهذه المهمة الجليلة، أو عبر الوسائل التقنية الحديثة كشبكات التواصل ومواقع الانترنت، وغرف المحادثات، ونحوها، حتى أصبح يُرف يوميًا إلى الإسلام العشرات بل المئات عن طريق هذه المنابر الدعوية المباركة بالإضافة إلى المراكز الإسلامية المنتشرة في شتى جنبات الأرض تحقيقًا لقول الحق ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

ولله درّ القائل:

إسلامنا كَالضِّيَاءِ الحُرِّ حِينَ رنَا ... بِمُقْلَةِ الحَقِّ فَرَّتْ مِنْهُ أَوْهَامُ

مَـا عَـاشَ فِي ظِلِّـهِ عَبْـدٌ لِنزوَتِـهِ وَمَـا لِبَـاغٍ طَغَـى عِـزٌّ وَأَحْكَـامُ[١]

وكان لابد لقيام الدعوة إلى الله ﷻ على الوجه الأكمل من رعاية ودعم، لاسيما مع ارتفاع الكلفة وزيادة المصاريف، فكان الحل الأمثل لهذه المراكز والمكاتب هو إنشاء الأوقاف، وجعل ريعها وغلتها في مصارف الدعوة إلى الله ﷻ من طباعة الكتب، وكفالة الدعاة، وإنشاء المواقع الدعوية وإقامة المناشط والبرامج الدعوية للجاليات المسلمة وغير المسلمة.

ويحسن بالمسلم ما يلي:

* أن يجعل نصب عينيه احتساب الأجر وابتغاء الثواب من الله ﷻ والدعوة إليه وحده لا إلى طائفة أو فرقة أو مؤسسة أو جهة، وتأمل قول الحق ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].
* كما أن على المسلم أن يساهم في هذه البرامج الدعوية بماله وجهده ووقته محتسبا الأجر عند الله ﷻ ومصطحبا فضل الدعوة إلى الله، فقد قال حبيبنا ﷺ: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[٢] وقال ﷺ «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة، فعليه من الإثم مثل آثام من اتبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»[٣].

---

(١) الأبيات للشاعر د.خالد الحلبي.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤٢)، مسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

* المبادرة بالوقف على المراكز والمكاتب الدعوية لتشجيع القائمين عليها على الاستمرار في الدعوة إلى الله ﷻ وإعانتهم على هذا العمل الجليل.
* التجديد والابتكار في الوسائل والبرامج ومصارف الأوقاف وفق الاحتياج الزماني والمكاني، ومن ذلك فتح المجال للأوقاف الإلكترونية كوقف المواقع أو التطبيقات أو البرامج الحاسوبية التي تختصر الوقت والجهد(١).

(١) ومن هذه البرامج المميزة برنامج (أوقاف تك) الذي ابتكره الإخوة في مكتب الدعوة وتوعية الجاليات بحي الروضة بمدينة الرياض ويهدف إلى وقف التطبيقات الإلكترونية النافعة لاستخدامها عبر أجهزة الهاتف المحمول والحواسيب وغيرها للاستزادة ينظر موقع المكتب على الانترنت:

www.arrawdah.com

المجلس الثامن عشر

بناء المساجد لله ﷻ

المجلس الثامن عشر

بناء المساجد لله ﷻ

بقي النبي ﷺ في مكة يبلغ رسالة ربه ويدعو إلى التوحيد فلمّا لم يكن بدّ من الهجرة عنها ارتحل منها وهو يقول: «ما أطيبك من بلد، وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك»[١].

هاجر ﷺ إلى المدينة ليؤسس دولة الإسلام ويبني حضارة المسلمين.

رســـول أضـــاء دياجـــي الظلـــم وأهـــدى الأنام لأهـــدى أمـــم
وكـــان الرعـــاة رعـــاة الشـــياه فصـــار الرعـــاة رعـــاة الأمـــم[٢]

كان أول ما دخل النبي ﷺ المدينة دخلها من جهة الجنوب فأسس في ضاحيتها الجنوبية أول مسجد أُسس على التقوى وهو مسجد «قباء»[٣].

ومن فضائل مسجد قُباء ما ورد أنه ﷺ قال: «من تطّهر في بيته ثم أتى مسجد قباء، فصلى فيه صلاة، كان له كأجر عمرة»[٤].

كما جاء عند عمر بن شبة في تاريخ المدينة عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ﵄ قالت: سمعت أبي يقول: «لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إليَّ من أن آتي بيت المقدس مرتين، لو يعلمون ما في قباء لضربوا إليه أكباد المطي»[٥].

ثم إنه ﷺ بعد أن بنى مسجد قُباء وبقي في جنوب المدينة ليالي دخل المدينة، ولما وصل حي بني النجار بركت ناقته ﷺ فسارع أبو أيوب الأنصاري ﵁ إلى رحل النبي

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٢٦)، وصححه الألباني من حديث ابن عباس ﵄.

(٢) الأبيات لعبد الرحيم محمود.

(٣) مَسْجِدُ قُبَاءٍ أول مسجد بني في الإسلام، وأول مسجد بني في المدينة النبوية، ويقع إلى الجنوب من المدينة المنورة، وقد بني من قبل النبي ﷺ وذلك حينما هاجر من مكة متوجهًا إلى المدينة .

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٤١٢)، النسائي (٦٩٩) وصححه الألباني.

(٥) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٤٢/١)، وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح (٦٩/٣).

ﷺ فأخذه إلى بيته، ثم إنه ﷺ لما أراد بناء مسجده النبوي قال: «يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا»، أراد أن يشتريه منهم، فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، فكان فيه قبور المشركين وبعض الخرب والنخل فأمر بقبور المشركين فنُبشت ثم بالخرب فسويت وبالنخل فقطع، ثم بنوا المسجد النبوي وعاونهم النبي ﷺ وجعلوا يرتجزون والنبي ﷺ معهم، وهم يقولون: اللهم لا خير إلا خير الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة[١].

لقد أصبح مسجد رسول الله ﷺ هو المسجد الذي خلص فيه كلّ شأن من شؤونه ﷺ وأقيمت فيه جماعة المسلمين الدائمة بإمامته ﷺ في حياته، وإمامة الراشدين من بعده، وخطبهم ﷺ في كل ما ينوبهم، وتشاور فيه معهم في مهمات أمور المسلمين، وعقدت فيه كتائب الجهاد والألوية، وكان الوحي ينزل فيه على النبي ﷺ وجبريل يدارسه فيه القرآن ويبلغه رسالات ربه ليبلغها إلى أمته قولًا وعملًا، وفيه تربى الصّفوة من الدعاة إلى الله، وفيه عقدت حلق العلم والإرشاد، فما أعظم بركته وثواب الصلاة فيه حيث جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[٢].

ولم يزل المسلمون -بفضل الله- على مرّ العصور والأزمان يتسابقون إلى بناء بيوت الله ﷻ وعمارتها حسيًا بالبناء والتعمير والإنشاء، ومعنويًا بالصلاة فيها والذكر وقراءة القرآن وإقامة الحلقات القرآنية والدروس العلمية.

يقول الله ﷻ عن العمارة المعنوية لبيوت الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

كما جاء الحثّ النبوي الكريم على بناء المساجد وبيان الترغيب فيه يقول حبيبنا ﷺ:

---

(١) رواه البخاري (٤٢٨)، مسلم (٥٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (١١٩٠).

«من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا في الجنة»[١] وجاء في بعض ألفاظه «من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة»[٢].

وإليكم هذه القصة العجيبة لرجل فقير بنى لله ﷻ مسجدًا في تركيا في منطقة «فاتح» حيث كان يعيش شخص اسمه «خير الدين كججي أفندي» وكان عندما يمشي في السوق، وتتوق نفسه لشراء فاكهة، أو لحم، أو حلوى، يقول في نفسه: باللغة التركية «صانكي يدم» ومعناها: «كأنني أكلت» ثم يضع ثمن ذلك الطعام في صندوق له.

وبعد مرور عدة سنوات كان يوفر فيها معظم دخله ويكتفي بما يقيم أوَده فقط، وكانت النقود تزداد في صندوقه شيئا فشيئا، حتى استطاع بهذا المبالغ التي وفرها القيام بناء مسجد صغير في محلته، ولما كان أهل المحلة يعرفون قصته، وكيف استطاع أن يبني هذا المسجد أطلقوا عليه مسجد «كأني أكلت»[٣].

فتأمل كيف تمكن هذا الرجل الذي عانى الفقر من إلجام نفسه وحرمها من مشتهياتها ليقدم هذا النموذج الرائع، والموفق من وفقه الله وأعانه[٤].

ويستقى مما مر معنا جملة فوائد:

* أورد الإمام البخاري رحمه الله حديث بناء المسجد النبوي في صحيحه في باب وقف الأرض للمسجد[٥] فهو أصل في مشروعية بناء المساجد والوقف عليها ابتغاءً للأجر من الله ﷻ.
* على المسلم أن يستشعر أمر الإخلاص لله ﷻ في بناء المسجد وأن يراجع نيته

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٠)، مسلم (٥٣٣) من حديث عثمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجة (٧٣٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وصححه الألباني.

(٣) وهو مسجد يقع في حي الفاتح بأسطنبول بتركيا، وموقع المسجد من قوقل ماب:
http://maps.google.com/maps?daddr=41.018868,28.953241

(٤) أورد القصة عدة مواقع منها موقع صحيفة الأهرام الصفحة الدينية:
www.islamahram.org.eg

(٥) صحيح البخاري (١٢/٤).

عند العزم على بنائه وألا يدفعه إلى بناء المسجد حبّ الشهرة أو ثناء الناس أو إبراز اسمه ونحو ذلك.. لذا نجد النصّ النبوي يؤكد على أن يكون بناء المسجد لله ﷻ «من بنى لله مسجدًا ...».

* أن من أعظم الطاعات وأجلّ القربات الوقف على بناء المساجد، حيث للواقف إن احتسب الأجر وابتغى الثواب من الله ﷻ أجر كل من صلى في هذا المسجد أو دعا أو قرأ القرآن أو جلس بين الصلاتين فضلًا عن الأجور العظيمة المترتبة على انعقاد مجالس العلم وحلقات تحفيظ القرآن الكريم في المسجد.
* على المسلم أن يتحيّن المكان المناسب لبناء المسجد بحيث يكون الحيّ أو المنطقة في حاجة إلى وجود مسجد.
* ينّبغي للمحسن أن يبني مسجدًا على قدر الحاجة للمنطقة أو الحي السكني فلا يبالغ في حجم المسجد فيكون كبيرًا فوق الحاجةِ بأضعاف مضاعفة، حيث لوحظ -مؤخرًا- أن بعض المساجد تبنى ولا يصلى إلا في صفٍ واحدٍ منها أو صفين في أغلب الأوقات.
* كما ينبغي للمحسن الذي يبني المسجد أن يحرص على أن يجعل له وقفًا يدرّ عليه فيستمر ريعه في رعاية البرامج التوعوية والدعوية وحلق تحفيظ القرآن الكريم في المسجد، وكذلك تعاهد المسجد بالصيانة والترميم وتوفير الاحتياجات الدورية اللازمة من أدوات النظافة والتعطير ونحوها.

المجلس التاسع عشر

وقف الإسكان الخيريّ

المجلس التاسع عشر

وقف الإسكان الخيريّ

السكن نعمة عظيمة ينعم الله بها على الإنسان قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ [النحل: ٨٠] ففي البيت يسكن الإنسان ويستقر ويستتر عن غيره، وفي البيت يأوي وينام، وفي البيت يأكل ويطعم، وفي البيت يربي أولاده، ويكرم ضيفه، ويقوم بحاجته، فالبيت نعمة عظيمة.

وجاء في الحديث الصحيح قوله ﷺ: «من أصبح منكم آمنًا في سربه معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»(١).

ففي قوله ﷺ: «آمنًا في سربه» إشارة إلى نعمة المسكن التي هي من ضرورة الحياة لكل مخلوق على وجه الأرض فالإنسان يسكن في بيته، والطير في عشه ووكره والحيوان في غابته أو حظيرته.

وكان حقًا على من أنعم الله عليه ووسّع له في الرزق والخير ألا ينسى إخوانه المسلمين المحتاجين من المعونة والصّلة والإحسان، وإن من شكر الله ﷻ على نعمة المال وسعة الرزق والمسكن الطيب أن يقوم المسلم على إخوانه المسلمين ويتلمس حاجاتهم، ولعل من أعظم الحاجات في هذا الزمن المعاصر حاجة السكن، حيث أصبح السكن يشكل عبئا ثقيلا على الإنسان لاسيما في هذا العصر المادي الحديث الذي ارتفعت فيه أسعار الأراضي رغم توفرها وكثرتها وأصبحت الحياة الاجتماعية أكثر تعقيدًا، والالتزامات المالية أعلى كلفة مما استوجب التكافل بين أفراد المجتمع والمؤسسات الخيرية والبنوك والجهات

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٠٠)، وابن ماجة (١٣٨٧)، وحسنه الألباني.

التجارية لأجل توفير المسكن اللائق بالإنسان المسلم.

لقد حضّ الرسول الكريم ﷺ على وقف الدور للسكنى فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :«إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علمًا علمه ونشره، وولدًا صالحًا تركه، ومصحفًا ورّثه أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرًا أجراه، أو صدقةً أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته»(١).

ولم يزل أهل الإسلام على مرّ العصور يعتنون بتوفير حاجة المسكن لمن لا يستطيعه من الفقراء وأبناء السبيل وطلبة العلم والمغتربين والمنقطعين، وأوقف كثير من أصحاب رسول الله ﷺ دورهم للسكنى في مكة والمدينة والطائف وغيرها، وتتابع على ذلك خلفاء الإسلام فأوقفوا المساكن للفقراء والخانات ودور الضيافة للمسافرين والمغتربين، وجاء أن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ﷺ أمر بعمارة الخانات على طريق الحاجّ في خرسان –شرق الدولة الإسلامية–حيث كتب إلى واليه في خرسان –سليمان بن أبي السّري– أن اعمل الخانات في بلادك فمن مرّ بك من المسلمين فأقروهم يوما وليلة وتعهدوا دوابهم فمن كانت به علة فأقروه يومين وليلتين فإن كان منقطعا فأقروه بما يصل إلى بلده(٢).

وتحكي لنا كتب التاريخ ما أوقفته المحسنة «أم قاسم المرادية» في المغرب حيث أوقفت ثروتها لبناء محطات التزود بالزاد والماء والاستراحة للحجيج ولدوابهم حيث وجد أنه في كل بلد من مدينة «آسفي» بالمغرب إلى مكة المكرمة دار من طابقين طابق لاستراحة الحجاج وتزويدهم بالأكل والدواء وطابق للدواب لأكلها واستراحتها ودوائها، كما يتم استبدال الدواب وتعويض ما مات منها عن طريق الأوقاف، وقد تم تشييد هذه المحطات

(١) أخرجه ابن ماجة (٢٤٢)، وحسنه الألباني.

(٢) الوقف والتنمية الاقتصادية للباحوث ص١٤٨.

«الفنادق» على بعد كل ٥٠ كيلومترًا تقريبًا عبر الطريق التالي: المغرب- الجزائر- تونس- ليبيا- مصر- فلسطين -سوريا -الجزيرة العربية مرورًا بالمدينة ومكة واستمرت إلى عهد قريب[١].

كما تنوعت صور المساكن الوقفية وتعددت خدماتها وأسماؤها:

فالخانات[٢] ودور الضيافة للمسافرين والمنقطعين: وغالبا ما تبنى في الصحراء على طرق السفر وتبنى على هيئة قلاع وحصون حماية لها من اللصوص، وكانت منتشرة في طرق السّفر بين عواصم البلاد الإسلامية وتقدم فيها الخدمات بالمجان وتدار بالأموال الوقفية.

أما مساكن الفقراء فكانت تهيأ لهم ويعدّ فيها الطعام والماء وكانت في وسط البلدان.

أما الرّبوع فهي عبارة عن مساكن تبنى بغرض وقفها وتؤجر ويستفاد من أجرتها في أوقاف أخرى وهي تمثل في حدّ ذاتها وعاءً استثماريا للوقف.

أما التكايا فهي مباني ذات طراز معماري خاص مخصصة لمن لا يستطيع التكسب من العجائز وكبار السن والأرامل والأيتام وهي مكونة من حجرات ومسجد صغير ودورات مياه ويعدّ فيها للنزلاء وجبات الطعام اليومية وتكون داخل البلدان ... وتتعدد أسماء مثل هذه المساكن وتختلف على مرّ عصور الإسلام كالأربطة والتكايا والملاجئ ودور المسنين والوكالات وغيرها[٣].

وإن من المشاريع المميزة في الوقف الإسكاني ما اقترحه سماحة الإمام الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ حول إنشاء إسكان خيري للمحتاجين، وقدّم الاقتراح لأمير الرياض في حينه -خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز حفظه الله- الذي

---

(١) المرأة والوقف -التجربة المغربية لخديجة مفيد ص١٦٦.

(٢) جمع خان وهي كلمة أعجمية تدل على الفندق في عصرنا الحديث، وهي موضع راحة المسافرين.

(٣) الوقف والعمران الإسلامي، د. نوبي محمد حسن ص١٦٣ وما بعدها.

تبنى هذا المقترح وأنشأ مشروع «سلمان بن عبد العزيز للإسكان الخيري»[١] ويهدف هذا المشروع إلى توفير الإسكان المجاني للمحتاجين من الأيتام والأرامل والعجزة وكافة الفئات المحتاجة، كما أقام للمشروع أوقافا تدرّ عليه، ويقوم -أيضًا- باستثمار حساباته البنكية وفق الضوابط الشرعية والاقتصادية، واستفاد -بفضل الله- من خدمات هذا المشروع عشرات الآلاف من المواطنين على مرّ العشرين سنة الماضية.

كما قام مجموعة من المحسنين وكبار التجار بإقامة مشاريع مشابهة يقوم بعضها على تمليك المستفيدين عين العقار وبعضها يمكّن المستفيد من العقار مدّة من الزمن ما دام محتاجا إليه ثم ينقل إلى غيره بعد استغنائه عنه.

وما أعظم صور التكافل بين المجتمعات فهي تبني مجتمعًا متحابًّا متعاطفًا يرحم فيه القويُ الضعيف ويجود فيه المحسنُ على المحتاج وهو بذلك -أي المحسن- يقدم لنفسه الخير قال ﷻ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠].

وإن من الصور الجميلة التي يمكن أن يساهم بها المسلم في الوقف على الإسكان ما يلي:

* أن يساهم بماله في الجمعيات الرسمية المتخصصة التي تقوم على مثل هذه المشاريع النبيلة.
* أن يجعل المسلم شيئا من بيته كالملحق الخارجي أو سطح المنزل أو نحو ذلك وقفا في سبيل الله على المحتاجين أو المسافرين من أهل بلده أو لبعض أقاربه ونحو ذلك.

---

(١) ينظر: موقع المشروع على الشبكة العنكبوتية:

* ومن الصور أن يوقف المسلم منفعة بيته أو بعضه كشقة منه أو ملحق بحيث يؤجره وينفق غلته أو إيجاره في أبواب الخير والمعروف.
* ومن الصور أن يوقف مُلّاك الأراضي وأصحاب العقارات أملاكهم كمستودعات للجهات الخيرية، أو يوقف أصحاب العمائر ذات الشقق المتعددة هذه العمائر أو بعض شققها لله تعالى.
* ومنها إنشاء «عمائر وقف» لتزويج الشباب على أن يمكث الشاب فيه عشر سنين -مثلًا- ثم يغادره بعد أن يستغني عنه ليستفيد منه غيره وهكذا ...

المجلس العشرون

الوقف الزراعي

المجلس العشرون

الوقف الزراعي

تنوعت الأموال الوقفية عبر القرون وتعدّدت طرق استثمار الأموال الوقفية وطرق تدويرها وتشغيلها في كل زمان، ويحكم ذلك كله الحاجة والمصلحة والمنفعة للوقف ولمستحقي مصارف الوقف.

ومن الأوقاف القديمة التي اعتنى بها المسلمون على مرّ التاريخ الأوقاف الزراعية وذلك بوقف المزارع وما يتبعها من آبار ومساكن ودور وما ينتج عنها من حبوب وثمار للفواكه والخضروات ونحوها وما يلحق بالمزارع من ثروات حيوانية ومواشٍ ومشافٍ لها وعيادات وأعلاف ونحو ذلك ...

ويحدثنا التاريخ عن أوائل الأوقاف الزراعية وهي الحوائط[١] السبعة التي أوقفها «مخيريق» رضي الله عنه الذي وصفه الرسول ﷺ بأنه «خير يهود»[٢] وكذا وقف الصحابي الجليل أبي الدحداح رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ [الحديد: ١١] قال أبو الدحداح الأنصاري: وإنَّ الله ليُريد منا القرض؟ قال ﷺ: «نعم يا أبا الدحداح» قال: أرني يدك يا رسول الله، قال: فناوله رسول الله ﷺ يده، قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي، قال ابن مسعود: وحائطه له فيه ستمائة نخلة[٣].

---

(١) الحوائط: جمع حائط وهو البستان.

(٢) أخرجه الواقدي في المغازي (٢٦٣/١)، وعنه ابن سعد (٥٠١/١، ٥٠٢)، وذكره الحافظ في الإصابة (٧٣/٦) وابن شبة في تاريخ المدينة (١٧٣/١). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١ / ص ٧٨ و٧٩) والحديث من بلاغات ابن إسحاق الذي لم يسنده إلى رسول الله ﷺ وهو يصلح للاستئناس ولا يصح الاحتجاج به حتى يثبت متصلا.

(٣) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٤٩٨٦)، وصححه الألباني في تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام برقم (١٢٠).

وكذلك وقف أبي طلحة ﷺ لمزرعته «بيرحاء» حيث قال: يا رسول الله إن الله – تعالى – يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ [آل عمران: ٩٢] وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله...[١].

وإن في وقف المزارع وما تحويه من أشجار ونخيل وثمار أجر عظيم، كما جاء في حديث أنس ﷺ: قال قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[٢].

أَلا إنَّ مَنْ رامَ الفلاحَ لنفسِه ... وفازَ مِن الدُّنيا بمالٍ وَافِ

فَلا بُد أنْ يسعَى حثيثا لبذلِه ... ويُخرجَ بعضًا منه للأوقافِ

فذلك فوزٌ للغنيّ وبلغةٌ ... ليجنيَ في الأُخرى عظيمَ قِطافِ[٣]

وقد فتح الله على كثير من المسلمين فأوقفوا مزارعهم وثمارها في سبيل الله ﷻ حيث كانت بعض المساجد تقوم على المزارع وريعها وإلى عهدٍ قريب كانت النخيل في بلاد نجد وفي بعض حواضر البلاد الإسلامية توقف على المساجد فيصرف من غلّتها وريعها لإمام المسجد والمؤذّن ومعلّم الصبية ويصرف منها في إطعام الطعام وتعليق عذوق النخل في المساجد وتفطير الصائمين ونحو ذلك.

وفي هذه الأزمان المتأخرة برزت بعض المشاريع الزراعية الوقفية العملاقة ومن ذلك أوقاف الشيخ صالح بن عبد العزيز الراجحي ﷺ في القصيم وهي أوقاف زراعية عظيمة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٢٠)، مسلم (١٥٥٢).

(٣) ينظر مقالات (الأربعون الوقفية) لعيسى القدومي، موقع:

تهتم بغرس النخيل وذلك لإنتاج أجود أنواع التمور، وأفضل أصناف الفسائل، حيث يزيد عدد النخيل بها عن ربع مليون نخلة بين غرس حديث، ونخيل مثمر يضم أكثر من خمسين صنفا من مختلف أصناف النخيل التي توجد في المنطقة الوسطى بالمملكة يصرف ريعها وغلّتها في وجوه البر والإحسان وتفطير الصائمين في الحرمين الشريفين وفي مساجد المسلمين ويصدّر منها للبلاد الإسلامية الفقيرة وللمراكز الإسلامية في أنحاء البلدان.

كما قامت الإدارة الزراعية في إدارة أوقاف الشيخ صالح الراجحي بدور علمي وإرشادي مهم للمتخصصين والمهتمين في مجال زراعة النخيل عبر إصدارها لعدة مؤلفات علمية متخصصة وتقديم أوراق علمية في المؤتمرات الدولية المتعلقة بالنخيل وزراعتها وإنتاجها وما يصيبها من آفات وأمراض إلخ...

كما أن هذه المشاريع الضخمة مع حسن الإدارة والجودة والإتقان في العمل أصبحت مصدر إدرار وتنمية للأموال الموقوفة وبالتالي صارت هذه الأوقاف الزراعية تصرف على بقية الأعمال الخيرية لهذه المؤسسة الرائدة كإطعام الطعام وتوزيع الكسوة ومساعدة المقبلين على الزواج ورعاية حلقات تحفيظ القرآن الكريم وتحجيج المسلمين وتفطير الصائمين في الحرمين الشريفين وغيرها من المشاريع والبرامج العملاقة(١).

وهذه المؤسسة الخيرية هي مجرد أنموذج لما تقوم به المؤسسات الخيرية المتخصصة في القطاع الزراعي من جهود مباركة في خدمة الوقف ومصارفه.

ويستقى مما مضى من هذه التجارب الوقفية الزراعية الرائدة ما يلي:

* أن الزراعة باب من أبواب الرزق المبارك التي حثّ عليها الرسول ﷺ كما مرّ في حديث أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا

(١) ينظر: موقع أوقاف الشيخ صالح الراجحي

فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[١] فكان من المهم أن يستفاد منها في المجال الوقفي لاسيما مع وجود خاصية الاستدامة في الأراضي والمنتجات الزراعية.

* استثمار الإمكانات والمقدرات التي وهبها الله للإنسان في خدمة البشرية والسعي في الأرض بما يرضي الله ﷻ قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].
* دور الوقف الزراعي الرائد في نشر الثقافة الزراعية وتوعية المزارعين بالطرق الأجدى والأنفع وتوفير المعلومة الدقيقة والخبرة العملية في المجال الزراعي.
* تعاني بعض بلاد المسلمين في أفريقيا وغيرها من المجاعة والفاقة مع وجود الأراضي الخصبة والمياه المتوافرة مما يؤكد أهمية التوعية في المجال الزراعي واستثمار البيئة والمناخ المناسبين والمساهمة من قبل الجهات الوقفية في استثمار ذلك والقيام عليه.

(١) أخرجه البخاري (٢٣٢٠)، مسلم (١٥٥٢).

المجلس الحادي والعشرون

الوقف الصحي

المجلس الحادي والعشرون

الوقف الصحي

اعتنى الإسلام بالجانب الصحي للمسلم لذا كانت المحافظة على النفس وعدم الإلقاء بها إلى التهلكة من ضروريات دين الإسلام، كما اهتم الإسلام بغذاء المسلم وشرابه وعلاجه وتواترت النصوص الشرعية التي تحضّ المسلم على ذلك وجماع ذلك في قوله ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: جَمَعَ اللهُ الطِّبَّ كُلَّهُ فِي نِصْفِ آيَةٍ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾[١].

واستجابة لذلك فقد اهتم المسلمون بالصحة العامة اهتمامًا عظيمًا وتمثل ذلك فيما وقفوه من الأموال لإنشاء المستشفيات والدّور الصحية لعلاج الإنسان بل والحيوان.

وفي الوقت الذي كان للمسلمين من خلال الأوقاف مستشفيات وأطباء وأدوية كانت أوروبا لا تعرف النظافة ولا الصحة -كما يحدثنا التاريخ وعقلاء الغرب أنفسهم- وفيما يلي سنختار بعض الأمثلة التي تبرز الدور العظيم الذي قامت به مؤسسة الأوقاف في رعاية الصّحة من خلال إنشاء المستشفيات التي عرفت بـ «المارستانات»[٢] في الحضارة الإسلامية والتي تعني «بيت المرضى» وهذا ما يعنيه مصطلح المستشفى في الوقت الحاضر.

روى المقريزي أن أول دار أسست لمداواة المرضى في الإسلام بناها في دمشق الخليفة عبد الملك الأموي عام ٨٨هـ، وجعل فيها الأطباء وأجرى عليهم الأرزاق عن طريق الأوقاف، في حين أعطى كلُ مُقعد خادمًا يهتم بأمره، وكلُ ضرير

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٠٦/٣).

(٢) وبعضهم يسميها «البيمارسانات» وهي المشافي التي يعالج فيها المرضى.

قائدًا يسهر على راحته[١].

كما أن أول مستشفى كبير في تاريخ الحضارة الإسلامية هو المارستان الذي أمر ببنائه هارون الرشيد في بغداد، وبلغ من عناية المسلمين بالرعاية الصحية وتطوير خدماتها أن خُصصت أوقاف لبناء أحياء طبّية متكاملة[٢] حدّث ابن جبير في رحلته: أنه وجد في بغداد حيًا كاملا من أحيائها يشبه المدينة الصغيرة، كان يسمى بسوق المارستان، يتوسطه قصر فخم جميل وتحيط به الغياض[٣] والرياض[٤] والمقاصير[٥] والبيوت المتعددة، وكلها أوقاف وقّفت على المرضى، وكان يؤمُّه الأطباء والصيادلة وطلبة الطب، إذ كانت النفقات جارية عليهم من الأموال الوقفية المنتشرة ببغداد.

وتحدثت كتب التاريخ عن المستشفيات التي أنشئت في مصر بأموال الوقف فذكروا منها مستشفى أنشأه الفتح ابن خاقان وزير المتوكل على الله العباسي، ومستشفى آخر أسسه أمير مصر أحمد بن طولون، سمي باسمه، وحُبّس له من الأوقاف ما يلزم للإنفاق عليه، وبنى فيه الحمامات للرجال والنساء.

وكان من أشهر المستشفيات في العصر الأيوبيّ والمملوكيّ تلك التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي رحمه الله[٦].

وتحدّث المؤرخون والرّحالة عن المستشفى الذي أنشأه الملك قلاوون بمصر، وجعله وقفا لعلاج مرضى المسلمين، قال عنه ابن بطوطة: «يعجز الوصف عن محاسنه، وقد أُعدّ فيه من الأدوية والمرافق الخدمية ما لا يحصى»[٧].

---

(١) ينظر: الوقف في الفكر الإسلامي، بن عبد الله، (ص١٤٥-١٦٩).

(٢) تاريخ البيمارستانات في الإسلام، الدكتور أحمد عيسى، ص ١٧٨.

(٣) شجر كثير ملتف.

(٤) البساتين.

(٥) الطرق.

(٦) ينظر: رحلة ابن جبير، ص٢٠١.

(٧) ينظر: رحلة ابن بطوطة (٢٠٣/١).

ويضيف: «وقد أقام أحمد بن طولون أول مستشفى في مصر عام ٢٥٩هـ، ومن أنظمته أن العليل إذا دخله تنزع ثيابه وتوضع عند الأمين ثم يلبس الثياب الخاصة بالمرضى ويفرش له فرش خاص به ويعالج حتى يبرأ ... أما علامة شفائه فهي أن يأكل فَرُّوجًا[١] ورغيفًا، فإذا فعل ذلك واستقر الطعام في جوفه دون ألم أو ردّة فعل أُعطي ماله وثيابه وسمح له بالانصراف، وفي حالة وفاة المريض فإنه يجهّز ويكفّن على نفقة المستشفى الذي يتوفر على صندوق وقفي"[٢].

إن العلاج النفسي في المستشفى لا يقل عن العلاج البدني لذا اهتمت المستشفيات التي قامت على الأوقاف في الحضارة الإسلامية برعاية ذوي النفوس المريضة عن طريق تلاوة القرآن الكريم والتسلية البريئة.

لقد أدرك علماء المسلمين خطورة الأمراض النفسية ووضعوا لها علاجًا وطبًا، ولعل من أهمّ الرعاية التي لقيها المرضى والمعتوهون أنه خضع لكل واحد منهم مُرافق يأخذه باللين والرفق، يصحبه في الحدائق بين الخضرة والزهور ويسمعه ترتيلًا هادئًا من كتاب الله تعالى تطمئن به القلوب وتهدأ النفوس[٣].

ومما ذكر أيضًا في أساليب العلاج النفسي:

أن يقف اثنان بمسمع من المريض وبدون أن يلحظ أن ذلك جارٍ منهما عمدًا، يسأل أحدهما الآخر عن حقيقة علّة ذلك المريض، فيجاوبه رفيقه بأنه لا يوجد في علّته ما يَشغل البال وأن الطبيب رتّب له كذا وكذا من الدواء ولا يظن أنه يحتاج إلى أكثر من كذا من الوقت حتى ينقه، وغير ذلك من الحديث الذي إذا تهامس به اثنان على مسمع عليل ثقيل الحال -وظنه صحيحًا- زاد نشاطه ونهض[٤].

---

(١) صَغير الدَّجاج من شَهْره الثَّالث إلى العاشِر.

(٢) ينظر: رحلة ابن بطوطة (١/٢٠٣).

(٣) ينظر: الوقف في الفكر الإسلامي، ابن عبد الله (ص١٤٥-١٦٩).

(٤) ينظر: من روائع حضارتنا، لمصطفى السباعي ص١٣٩.

وهكذا ينشر الإسلام نوره في الشرق والغرب ومع النور الرعاية العامة والخاصة لكل فرد من أفراد المجتمع المسلم في كل شأن من شؤونه.

ومما تحسن الإشارة إليه:

* أهمية الأوقاف الصحية والطبية وما لها من دور كبير في سدّ احتياجات المسلمين وعلاجهم.
* المساهمة في الجمعيات الخيرية المهتمة بالجوانب الصحية وإعانتها على أداء رسالتها[١].
* من المقترح إنشاء جمعيات صحية تعني بتوفير الأجهزة الطبية المنزلية مثل أجهزة قياس الضغط والسكر وأجهزة التنفس وأجهزة غسيل الكُلى وأجهزة العلاج الطبيعي ونحوها.
* كما أن من صور الوقف المتاحة أن يوقف بعض ملاك المستشفيات نسبة منها معلومة ويصرف ريعها في وجوه البر والإحسان أو يعالج بهذه النسبة من لا يجد قيمة العلاج من المرضى المحتاجين.

(١) مثل جمعية أطباء حول العالم، وجمعية زمزم للخدمات الصحية التطوعية الخيرية، والجمعية الخيرية الصحية «عناية» وغيرها...

المجلس الثاني والعشرون

الوقف الإعلامي

المجلس الثاني والعشرون

الوقف الإعلامي

كان الإعلام في العصر الجاهلي يقتصر على القصيدة وإلقائها في المحافل والأسواق القديمة كسوق عكاظ(١) وسوق مجنّة(٢) وسوق ذي مجاز(٣) وفي مواسم الحج ونحوها، حيث كانت القبائل تُنشد مآثرها وتُحيي ذكر أمجادها وتتباهى بذلك وتتفاخر عبر منابر القصيد وملتقيات الشعر الجاهلي، وكان هذا كلّ ما يتعلق بالإعلام.

ولما جاء الإسلام هذّب مبدأ الإعلام وأهدافه وجدّد في أساليبه فمن ذلك:

أن الإعلام في الإسلام قام على مبدأ الصدق والعدل والإنصاف وقول الحق وعدم الإرجاف أو إشاعة الأكاذيب أو الفواحش بين المسلمين، كما جدّد الإسلام في أساليب الإعلام من حيث تعدد الوسائل **فمن ذلك:**

الخطابة في الجُمع والعيدين والمناسبات، ومن ذلك تهذيب الشعر وتطويعه في خدمة الإسلام والدعوة إليه والذّب عنه والدفاع عن مبادئه، وهجاء الأعداء والتحذير منهم، فهذا رسول الله ﷺ يقول لشاعر الإسلام حسّان بن ثابت رضي الله عنه: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله.

وقالت عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسّان فشفي واشتفى» قال حسان رضي الله عنه:

هجـــوتَ محمـــدًا فأجبـــت عنـــه ... وعنـــــد الله في ذاك الجـــــزاء

---

(١) سوق عكاظ: في الطائف تم تسمية هذا السوق بهذا الاسم بسبب أن العرب كانوا يجتمعون فيه للتعاكظ، والتعاكظ هو التفاخر، وكانت تحميه قبيلة هوازن.

(٢) سوق مَجنَّة: سوق من أسواق الجاهلية الثلاثة الكبرى في موسم الحج، يقع في بلاد قبيلة كنانة.

(٣) سوق ذي المجاز: سوق من أسواق الجاهلية الثلاثة الكبرى في موسم الحج، ويقع في شرق مكة المكرمة.

هجوت محمدًا برًا حنيفًا رسول الله شيمته الوفاء

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء[١]

ومن ذلك الأذان للصلاة فهو إعلام بدخول وقتها ودعوة إليها وهي أعظم شعائر الدين الظاهرة لذا اختار النبي ﷺ له مؤذنين وراعى أن يكون المؤذن نديَّ الصوت، ومن الوسائل التي جدّدها الإسلام في الإعلام اتخاذ النبي ﷺ للخطباء والشعراء واستماعه للحداة[٢] المنشدين، كما كان النبي ﷺ يخاطب الملوك والأمراء ويبعث البعوث والسرايا لنشر الإسلام، ويرسل الدعاة إلى الله والقراء إلى البلدان والقرى والقبائل لدعوتهم إلى الإسلام وترغيبهم فيه وتعليمهم كتاب الله ﷻ وكل ذلك من وسائل الدعوة والإعلام بدين الله ﷻ وهي وسائل متجدّدة، والأصل فيها الحل والجواز ما لم تخالف شرع الله تعالى[٣].

ولأن الوسائل لها أحكام المقاصد تنوّعت الوسائل والأساليب عبر عصور الإسلام ولم تزل في تطور وازدهار، فمن الوسائل التي أضيفت إلى ما سبق:

تأليف الكتب العلمية ونشرها، ومنها إقامة الحلقات والدروس العلمية، ومنها إنشاء المدارس والمكتبات العلمية، ثم تنوعت وتعدّدت الوسائل بعد ذلك ودخلت التقنية الحديثة وجعلت العالم كقرية واحدة عبر وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، ثم جاءت بعد ذلك الشبكة العنكبوتية «الإنترنت» وما تبعها من وسائل التواصل الاجتماعي الحديث التي قرّبت البعيد وسهّلت وصول المعلومة، فكان لزاما على أهل الإسلام أن يسخّروا هذه الوسائل

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٠).

(٢) مفرد حادي: وهو الذي يسُوق الإبل بالحُداء.

(٣) لقاء الباب المفتوح للعلامة ابن عثيمين رقم ١٥ ص ٤٩.

والبرامج في خدمة الإسلام والمسلمين عبر الأوقاف الإعلامية.

ونجدُ أن العلاقة بين الإعلام والوقف علاقة تبادلية فالإعلام يسوّق للوقف ويشيع أحكامه ويبصّر المسلمين به ويحثهم عليه، والوقف يدعم الإعلام ويسانده ويمدّه بالتمويل والرعاية المالية.

ولقد برزت في العصور المتأخرة صور مشرقة للأوقاف الإعلامية، ومنها الأوقاف على القنوات الفضائية، ومن أبرز القنوات الموقوفة قناة اقرأ وشبكات قنوات المجد وقناة الأحواز وقناة الهدى ومجموعة قنوات أفريقيا وشبكة قنوات رسالة الإسلام ونحوها، وهي قنوات شامخة في سماء الإعلام بزّت قريناتها من القنوات التجارية الأخرى، ونافست قنوات الإعلام الهابط الذي يدعو إلى المجون والفساد الأخلاقي والانحراف العقدي.

وإن لهذه القنوات الإعلامية الدعوية أثرها البالغ على المسلمين لاسيما مع الانفتاح الإعلامي الذي يشهده العالم.

حكى بعض الدعاة أنه -بعد افتتاح باقة قنوات أفريقيا «الوقفية» وخاصةً القناة التي باللغة الأثيوبية في الحبشة- قال أحد أساتذة التاريخ هناك:

«إن الأحداث المؤثرة في تاريخ المسلمين في الحبشة ثلاثة: هجرة الصحابة ﷺ إلى الحبشة، وإسلام النجاشي ﷺ وافتتاح قناة أفريقيا»(١).

فانظر كيف كان للإعلام هذا الأثر البالغ الذي دعا أستاذ التاريخ إلى أن يجعل افتتاح هذه القناة من الأحداث الثلاثة العظيمة التي أثّرت على بلاده!!.

وقد يتوهم بعض المسلمين أن الوقف الإعلامي يقتصر على القنوات الفضائية ونحوها ولا يقدر عليه أو يستطيعه إلا أهل الغنى واليسار من المسلمين، والحق أن الأمر ميسّر بفضل الله ﷻ.

---

(١) حدثني بها الشيخ د. محمد بن عبد العزيز الخضيري في إحدى الجلسات الاستشارية له.

وإليك -أخي المسلم- بعض الصور للأوقاف الإعلامية الميسّرة التي يقدر عليها كل مسلم -إن شاء الله-:

* وقف حساب في وسائل التواصل الاجتماعي بحيث يَنشر فيه المسلم الخير ويدعو إليه كأن يذكّر المسلمين بالأذكار النبوية وينشر التلاوات القرآنية والمقاطع الدعوية ونحوها.
* شراء المصاحف والكتب العلمية والأقراص الإلكترونية والنشرات والمطويات النافعة ونحوها، وتوزيعها ونشرها.
* تسخير ما لدى الإنسان من موهبة في التصميم أو الإخراج أو الصوت الندي في إنتاج وإعداد برامج إعلامية دعوية وبثّها عبر الوسائط المختلفة.
* بذل الوقت والجهد وهو ما يمكن أن نسميه «وقف الوقت»[١] في العمل الدعوي الإعلامي وتسخير الطاقات والمواهب في نشر الخير وتقريب العلم والتوجيه والإرشاد عبر القوالب والصيغ الإعلامية المختلفة.
* إنشاء المواقع الحاسوبية التي تخدم الدعوة إلى الله والعلم النافع كالمواقع الموسوعية أو المنتديات العامة أو العلمية.
* تصميم البرامج والتطبيقات الحاسوبية وبرمجتها عبر أجهزة الاتصال كتطبيقات التلاوات القرآنية أو الأذكار أو تطبيقات معرفة أوقات الصلاة والقبلة أو التطبيقات العلمية أو الخدمية التي تسهّل على المسلمين أمور معاشهم، وتعينهم على قضاء حوائجهم، ونحو ذلك.
* المساهمة في إقامة الحملات الدعوية والإعلامية للجهات الخيرية والدعوية والتسويق للأوقاف الإسلامية الموثوقة عبر وسائل التواصل المختلفة.

---

(١) هو بذل جزء من الوقت للمساهمة في الأعمال التطوعية متعدية النفع.

* إنشاء المؤسسات الإعلامية الوقفية المتخصصة في هذا المجال الحيوي الهام وتأسيسها وجعلها رافدًا من روافد العمل الدعوي والخيري.

وإنه على الرغم من النشاط الإعلامي الوقفي -مؤخّرًا- إلا أن الحاجة ملحّة وماسّة للإعلام الوقفي الإسلامي وأن يصل الإسلام -دين الحق والسماحة واليسر- إلى أصقاع المعمورة وأن نسعى لتحقيق قول ربنا ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣].

ألا ما أحوج الأمة الإسلامية اليوم إلى الإعلاميّ الصادق النّاصح الذي يحمل على عاتقه همّ الدعوة والإصلاح والدعوة إلى الله ﷻ نسأل الله ﷻ أن يبصرنا بدينه وأن يعيننا على القيام بما أوجب وأن يعزّ الإسلام والمسلمين.

المجلس الثالث والعشرون

وقف اللاعي

المجلس الثالث والعشرون

وقف اللاعي[١]

تعدّدت الأوقاف في البلدان والأقطار الإسلامية، فأوقف المسلمون ما قدروا عليه، وتسابقوا في بذل المعروف وفعل الخيرات على ما كان بهم من فاقة وحاجة مستشعرين قول الحق ﷻ في وصف الأنصار ﷺ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وقد أدّت الأوقاف دورًا اجتماعيًا كبيرًا وحقّقت نفعًا لا يستهان به بل كان نفعها سببًا بعد الله ﷻ في الإبقاء على كثير من أرواح الناس ودفع الهلاك عنهم وخصوصًا في أوقات المجاعات والمساغب التي توالت على بعض البلدان وأجبرتهم على أكل الميتة والجلود وغيرها، والله المستعان.

حتى اشتهر في بعض القرى في نجد ما يسمى بوقف (اللّاعي)، وهو مصطلح نجديّ مشهور يطلق على من ينادي عند المساجد والطرقات رافعًا صوته من شدة الجوع، مما حدا بعض المحسنين أن يوقّف أوقافًا خاصة تصرف على «اللاعي»[٢].

وما أكثر ذوي اللّوعات والصرخات في بلاد المسلمين في زماننا هذا، والله المستعان.

أُعِين أخي أو صاحبي في بلائِه ... أقومُ إذا عضَّ الزَّمانُ وأقعُدُ

ومَن يفردِ الإخوانَ فيما ينوبُهم ... تَنُبْه الليالي مرَّةً وهو مفردُ

ولأن «شرط الواقف كنص الشارع»[٣] كما يعبّر الفقهاء فيحسن بالمسلم أن يتخير

---

(١) **اللّاعي**: وهو مصطلح نجدي مشهور يطلق على من ينادي عند المساجد والطرقات رافعًا صوته من شدة الجوع، كثر في سنوات سابقة مما حدا ببعضهم إلى أن يوقف له أوقافًا خاصة في بعض قرى نجد من التمر والبر ونحوه، قال في لسان العرب ١٥/٢٤٩ «ولوعة الجوع: حدته» أهـ.

(٢) ينظر: دواوين الأوقاف القديمة في إقليم الوشم (ديوان شقراء أنموذجا)، ليوسف بن عبد العزيز المهنا، ص١٤.

(٣) ينظر: شرح الخرشي على مختصر خليل (٧/٩٢)، الاشباه والنظائر لابن نجيم (٢٧٥)، الفوائد الزينية (٧٠).

من الأوقاف أنفعها وأعظمها بركة وأشملها في خدمة المسلمين، وبالأخص ذوي الحاجة والفاقة أو ذوي العاهات والأمراض أو الأيتام والأرامل أو على ثغور الإسلام للجهاد في سبيل الله وحماية حياض بلاد المسلمين، ويكون ضبط ذلك وتدوينه في وثيقة الوقف.

كما يحسن بالمسلم ألا يحجّر واسعًا في نصّ وقفيّته فلا يحصر أوجه الصّرف في باب معين من أبواب الخير -لا يتعداه إلى غيره- بل يجمل به أن يُضَمِّن صكّ وقفيته -بعد تحديد المصارف الخاصّة- بعض العبارات التي تتيح مجال الصّرف لناظر الوقف وفق احتياجات الناس كأن يجعل الصرف على عموم الخيرات المناسبة لزمانها ومكانها أو الأكثر قربة وأجرًا عند الله ﷻ.

وإن من الأوقاف الهامّة والتي يغفل عنها كثير من المسلمين الأوقاف الطبية التي تختص بعلاج المرضى المحتاجين، وصرف الأدوية وإجراء العمليات الجراحية بأنواعها، حيث تكمن الحاجة الماسّة لمثل هذا في كثير من بلدان العالم الإسلامي لعدم توفر المستشفيات الحكومية من ناحية أو لغلاء المستشفيات الأهلية من ناحيةٍ أخرى، وبالإمكان أيضًا الوقف على الأدوية وعمل التحاليل والأشعة وإجراء كافة الفحوصات الطبية للمحتاجين من المرضى وإجراء العمليات الجراحية ونحوها.

وما أحوج المسلمين اليوم إلى مستشفيات ضخمة تلبي احتياجاتهم الصحية في شتى بلاد المسلمين:

فكم من المسلمين اليوم من لا يزال في لوعته وأنينه وصراخه، فقد بصره أو سمعه أو شُلّ عن الحركة أو تلفت كليته أو أُصيب بأمراض في الدم أو المسالك البولية أو غيرها، وذلك لعدم توفر طبيب يعالج أو جهاز يفحص أو ممرض يداوي أو دواء يصرف أو مشفى يؤوي، والله المستعان.

وفي المقابل تجد إسرافًا وخيلاء ومباهاةً وتفاخرًا في بناء بعض المساجد وتزيينها في بعض بلاد المسلمين حتى إنك لتجد عشرات المساجد في الحيّ الواحد ولا يكاد يُصلي

في المسجد إلا أشخاصٌ معدودون وربما دفع المحسن لبناء المسجد عشرات الملايين من الريالات.

بُني في إحدى المحافظات جامع ضخم لو اجتمع فيه أهل المحافظة والمحافظات المجاورة لها لوسعهم وزاد عليهم، مع العلم أنه يوجد مساجد وجوامع أخرى في نفس البلدة!! وربما كان الدافع لبعضهم أن يخلد اسم باني المسجد ويبرز في اللوحات وعلى ألسن الناس فيُدعى له ويُترحم عليه إن كان ميّتا، أما إن كان حيّا فقد يشوب النية ما يشوبها، والله المستعان.

وذكر أحد المهتمين بالأوقاف والمعتنين بها أنه وردت إليه استشارة من مجموعة من الشبّان توفي والدهم رحمه الله وكان رجلًا ثريًا موسرًا وقد أوصى رحمه الله ببناء جامع في إحدى المحافظات بمبلغ خمسة وثلاثين مليون ريال!! فقال لهم هذا المستشار: إن المبلغ ضخم جدا وأنه باستطاعتهم أن يبنوا به عشرة مساجد كبيرة أو أكثر، فقالوا: لا، نريد أن ننفذ وصية والدنا ونبني مسجدا عظيما وفاخرًا... فالله المستعان.

إن هذا من المفاهيم الخاطئة والتصورات البعيدة كل البعد عن الرؤية الشرعية لبناء المساجد، وأن الغاية من ذلك إقامة الصلاة وذكر الله فيها والبعد عن المبالغة في تزيينها وزخرفتها.

وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله فقال: (بَاب بُنْيَانِ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ كَانَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، وَأَمَرَ عُمَرُ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ، وَقَالَ: أَكِنَّ النَّاسَ مِنْ الْمَطَرِ وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَمِّرَ أَوْ تُصَفِّرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ، وَقَالَ أَنَسٌ: يَتَبَاهَوْنَ بِهَا ثُمَّ لَا يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلًا، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَتُزَخْرِفُنَّهَا كَمَا زَخْرَفَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى[1].

وجاء عن أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ

(١) أخرجه البخاري (١/٩٦).

فِي الْمَسَاجِدِ»[١].

وربما بكلفة بناء جامع في حيّ مكتفٍ يبنى مشفى أو مركز صحي أو مركز لغسيل الكُلى ونحوها في أي قطر من بلاد المسلمين.

ويستقى مما مضى:

* أن يحرص المسلم على مجاهدة نيته وإصلاحها يقول سفيان الثوري ﷺ: «ما عالجت شيئا أشدّ عليّ من نيتي وإنها لتتقلّبُ عَلَيّ»[٢].
* أن على المسلم أن يحرص على تحرّي المصرف الأنفع والمكان الأحوج والجهة الأكثر حرصا وعناية.
* أن يتفقد المسلم أحوال إخوانه المسلمين وأن يتلمس حاجاتهم فكم من محتاج منعه الحياء والعفاف عن سؤال الناس قال ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

(١) وأخرجه أبو داود (٤٤٩)، والنسائي (٣٢/٢)، وابن ماجة (٧٣٩) وصححه الألباني.

(٢) حلية الأولياء (٦٢/٧).

المجلس الرابع والعشرون

الوقف اجتماعيًا

المجلس الرابع والعشرون

الوقف اجتماعيًا

لم يزل الوقف الإسلامي يؤدي دوره الاجتماعي في الحرص على ترابط المسلمين ووحدتهم وتعزيز أواصر الأخوة بينهم، تحقيقًا لمبدأ المعاشرة بالتي هي أحسن وتعزيزًا لجانب الإحسان الذي حثّ عليه الدين الحنيف يقول ﷻ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وإن من أعظم صور الإحسان الوقف في سبيل الله، وحضارة المسلمين زاخرة بصور الوقف الاجتماعي، ومن ذلك أن المسلمين وقّفوا الأسبلة والأربطة والتكايا، وأوقافا أخرى على الفقراء والمساكين كان لها أكبر الأثر في التكافل الاجتماعي في عصور الإسلام الزاهرة، فنجد السلطان نور الدين محمود زنكي ﷺ قد جعل أوقافًا للمرضى والضعفاء والأيتام في حلب وفي سائر البلدان الإسلاميَّة الأخرى، وفي مكة المكرمة نَجِدُ أن حديقة كبيرة بجوار الحرم الشريف، تُوقَفُ على الفقراء والمساكين والواردين والصادرين لأداء الحج والعمرة[١].

وممَّا يدل على اهتمام الملوك والسلاطين والأغنياء وأهل الخير بإنشاء الأوقاف التي تخدم الجوانب الاجتماعية لدى المسلمين، ما نُقل عن السلطان المملوكي الظاهر برقوق[٢] أنه جعل وقفًا دارًّا لأجل مكتب يَقرأ فيه الأَيتام القرآن الكريم بقلعة الجبل[٣] وهي القلعة التي يحكم منها الديار المصرية والشامية وسائر البلدان الخاضعة لسلطانه.

---

(١) ينظر: تاريخ مكة المكرمة والحرم الشريف لابن الضياء: ص٢٤٧.

(٢) هو أبو سعيد الظاهر برقوق بن أنس العثماني، الملك الظاهر، أول من ملك مصر من الشراكسة، الأعلام للزركلي: (٤٨/٢).

(٣) ينظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي (٤٤٨/٥).

ومن أرقِّ ما وُجِدَ في الإسلام وألطفه ما تحدث عنه ابن بطوطة في رحلته بإعجاب وانبهار، فقال: والأوقاف بدمشق لا تحصر أنواعها ومصارفها لكثرتها، فمنها أوقاف على العاجزين عن الحج، يُعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته، ومنها أوقاف على تجهيز البنات إلى أزواجهن، وهنّ اللواتي لا قدرة لأهلهنّ على تجهيزهنّ، ومنها أوقاف لفكاك الأسارى، ومنها أوقاف لأبناء السبيل، يعطون منها ما يأكلون ويلبسون ويتزودون إلى أن يصلوا إلى بلادهم، ومنها أوقاف على تعديل الطرق ورصفها لأن أزقةَ دمشقَ لِكُلِ واحدٍ منها رصيفان في جنبيه يمرّ عليهما المترجّلون، ويمر الرُّكبان بين ذلك، ومنها أوقاف لسوى ذلك من أفعال الخير(١).

وفي أكثر من بلد إسلامي كان هناك وقف لإعارة الحُليّ والزينة في الأعراس والأفراح، فيستفيد من هذا الوقف الفقراء والعامة بما يلزمهم من الحُلي لأجل التزيُّن به في الحفلات، ويُعيدونه إلى مكانه بعد انتهائها، فيتيسَّرُ للفقير أن يبرز يوم عرسه بحلَّة لائقة، ولعروسه أن تُحلَّى بحِلية رائعة مما يَجبر خاطرهما(٢).

وكأن الهدف من هذه الأوقاف اللّطيفة إزالة الفوارق الاجتماعية بين الغني والفقير ومواساة من قصُرت بهم الحاجة كي ينعموا بالعيش الرغيد والفرح في مثل هذه المناسبات السعيدة.

والأغرب من ذلك، أنه كان بمدينة مَرَّاكش بالمغرب، مؤسسة وقفية تُسمى «دار الدُّقة»(٣) وهي ملجأ تذهب إليه النساء اللاتي يقع بينهنّ وبين أزواجهنّ نفور وبغضاء،

---

(١) ينظر: رحلة ابن بطوطة ص٩٩.

(٢) ينظر: حاضر العالم الإسلامي، شكيب أرسلان: (٨/٣).

(٣) الدقة: التوابل المخلوطة بالملح، والمقصود هنا: الدار التي تَدُقُّ على يد الزوج الظالم المسيء في معاملته إلى زوجه، حتى توقفه عند حدِّه.

فلهنّ أن يُقِمْنَ آكلاتِ شاربات إلى أن يزول ما بينهنّ وبين أزواجهنّ من نفور وخلاف![١]

ورحم الله الإمام الشافعي يوم قال:

الناس بالناس ما دام الحياء بهم ... والسعدُ لا شكَ تاراتٌ وهبّاتُ

وأفضلُ الناس ما بين الورى رَجُلٌ ... تقضى على يده للناسِ حاجاتُ

لا تمنعَن يد المعروف من أحدٍ ... ما دمت مقتدرًا فالسعدُ تاراتُ

واشكُر فضائل صُنع اللهِ إذ جُعلت ... إليكَ لا لك عند الناس حَاجاتُ

قد مات قومٌ وما ماتت مكارمهم ... وعاش قومٌ وهم في الناسِ أمواتُ[٢]

ويستقى من هذه الصور العجيبة للأوقاف:

* ما كانت عليه حضارة المسلمين من تطوّر وتقدّم حتى سدّت الأوقاف الاحتياجات الأساسية من مأكل ومشرب ومسكن وعلاج، ثم قامت الأوقاف بعد ذلك بسدّ الاحتياجات الثانوية كما مرّ معنا.
* تكامل التصور الإسلامي للحياة ووجوب عمارتها، لأن الله جعل آدم خليفة في الأرض كي يعمرها ويقيم فيها شرعه قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].
* توازن دين الإسلام في النظرة للدنيا وعدم إهمالها كي لا يكون المسلمون عالة على غيرهم، كما لا يجوز الانشغال بها عن الآخرة قال ﷻ: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ

(١) ينظر: ديوان الإمام الشافعي.

(٢) ينظر: الحضارة العربية الإسلامية، شوقي أبو خليل، ص٣٣٦، ٣٣٧.

ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

أن الحياة الدنيا مزرعة للآخرة وما يبذره المسلم من قربات في الدنيا يجدها درجات وأجورًا يوم القيامة، قال ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠].

المجلس الخامس والعشرون

الوقف على الأرامل واليتامى

المجلس الخامس والعشرون

الوقف على الأرامل واليتامى

دين الإسلام هو دين التكافل والرحمة والإحسان، ونجد في شريعتنا الكريمة الغراء الْتفاتا إلى الضعفاء والمساكين والأرامل والأيتام، وحثّا على رعايتهم والإحسان إليهم، بل إنه ﷺ جعل منزلة كافل اليتيم منزلة عظيمة، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرّج بينهما شيئا[١] كما أنه ﷺ حرّج حق اليتيم والمرأة[٢] ورغّب في كفالة الأرامل وقال: «الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار»[٣].

وهكذا فإن الإسلام يرعى الضعفاء والمساكين بل إن أول صنفين من أصناف الزكاة هما (الفقراء والمساكين) كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

ولقد سعى الصحابة ث في هذا المضمار وتنافسوا فيه فصاروا يرعون الأيتام والأرامل والمساكين ويرأفون بهم.

روى البخاري في صحيحه قصة حادثة الإفك التي قُذفت فيها الصديقة عائشة ﵂ بما برأها الله ﷻ منه، قالت عائشة ﵂: كان أبو بكر الصديق ﵁ ينفق على مِسطح بن أُثاثة لقرابته منه وفقره، وكان مسطح ممن تكلّم في عائشة -فقال أبو بكر: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدًا- بعد الذي قال لعائشة ما قال -فأنزل

---

(١) البخاري (٦٠٠٥)، مسلم (٢٩٨٣).

(٢) صحيح ابن ماجة (٢٩٨٢) وحسنه الألباني عن أبي هريرة.

(٣) البخاري (٥٣٥٣)، مسلم (٢٩٨٢).

الله ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] فقال أبو بكر الصديق ﷺ: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا(١).

وهنا ملحظ لطيف وهو أن الإسلام حثّ وحضّ على العناية بالأقارب لاسيما المحتاجين منهم، ورغب في ذلك لأن الأقربين أولى بالمعروف والإحسان والبر، كما قال ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]، فقدّم الله ذكر الوالدين والأقربين لأن الإنسان إذا أحسن إليهم فإنه ينال الأجر من جهتين، من جهة القربى وصلة الرحم، والجهة الأخرى هي باب الصدقة العامة.

وحدّث أحدهم بقصة عجيبة حصلت في هذا الباب وهي عن رجل كثير الإحسان والإنفاق والصدقة ويتلّمس أوجه المعروف والخير، ويتصدّق على هذا وذاك، وفي يوم من الأيام أخبره أحد أصحابه عن حال امرأة ضعيفة مسكينة محتاجة ولكنها متعففة، فطلب منه رقم حسابها لأجل أن يودع فيه ما تيسر، فلمّا ذهب إلى الصرّاف لأجل أن يحوّل المبلغ إليها فُوجئ وصُدم أن هذه المرأة هي أخته!! فأثّر فيه هذا الموقف تأثيرًا كبيرًا وقال: كيف غفلت عن أقرب الناس إليّ والْتفتُ إلى الأبعدين؟! والله المستعان.

وإن تاريخنا الإسلامي حافل بعناية المسلمين بالأيتام والأرامل والمساكين والوقف عليهم والوقوف معهم، وعدّ بعضهم الصحابي الجليل الزبير بن العوام ﷺ أول من أوقف وقفًا لصالح الأرامل والمطلقات من بناته(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦١)، مسلم (٢٧٧٠).

(٢) نقلا عن: سلامة البلوي، رعاية الفئات الخاصة، ص ٢٠.

وكان الفاتح المؤَفَّق صلاح الدين الأيوبي ﷺ من أكثر الحُكّام المسلمين الذين ساهموا في الوقف على الأرامل والأيتام وذوي الاحتياجات الخاصة، فقد كانت قرية (نسترو) بمصر[١] مصروفة على الأيتام وذوي الاحتياجات [٢].

ولم يزل أهل الإسلام على مرّ العصور يعتنون بتوفير حاجة المسكن والمأكل والملبس لمن لا يستطيعه من الفقراء والأيتام والأرامل ونحوهم.

ومما عرف في تاريخ المسلمين (التكايا) وهي مباني ذات طراز معماري خاصّ مخصصة لمن لا يستطيع التكسب من العجائز وكبار السن والأرامل والأيتام وهي مكونة من حجرات ومسجد صغير ودورات مياه ويعدّ فيها للنزلاء وجبات الطعام اليومية وتكون داخل البلدان[٣].

ولا شك أن الوقف على هذه الفئة أفضل وأولى من الصدقة المقطوعة أو الإنفاق بين الفينة والأخرى، والوقف هو الأفضل والأحكم والأضبط للتكافل الاجتماعي من المنظور الاستراتيجي، لأنه يحقّق تغطية أسباب الحاجة، ومحو آثارها ويغنيهم عن ذُلّ السؤال والحاجة.

فرعاية الأيتام لم تكن صفحات تُسطّر بها الكتب العلمية والفقهية بل كانت واقعًا يتنافس على توفيره العلماء والسلاطين وأهل الخير والبرّ، لتوفير حياة كريمة للأيتام والمحتاجين ليعيشوا مثل باقي أفراد مجتمعهم[٤] فإن مات أبوه فإن المجتمع كله يسدّ مسدّ الوالد ويحنو على اليتيم ويرحم المسكين امتثالا واستجابة لتوجيهات الشرع الحكيم قال

---

(١) نَسْتَرُو: بالفتح ثم السكون، وتاء مثناة من فوقها، وراء مضمومة، وواو ساكنة: جزيرة بين دمياط والإسكندرية ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموى (٥/٢٨٤).

(٢) دور الوقف في تأهيل الأيتام اجتماعيا د. سامي الصلاحات ص ٨.

(٣) الوقف والعمران الإسلامي، د. نوبي محمد حسن ص ١٦٣ وما بعدها.

(٤) ينظر: مقال من روائع أوقاف المسلمين لعيسى القدومي.

ﷻ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥]

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢] قال الإمام الطبري ﷺ: وذلك أن تتصرفوا فيه له بالتثمير والإصلاح والحيطة.أ.هـ(١).

ولله درّ القائل:

انظرْ إلى وجه اليتيمِ، ولا تكنْ ... إلا صديقًا لليتيمِ حميما

وارسمْ حروفَ العطف حَوْل جبينهِ ... فالعَطْفُ يُمكن أنْ يُرى مرسوما

وامسح بكفِّكَ رأسه، سترى على ... كفَّيكَ زَهْرًا بالشَّذَا مَفْعُوما(٢)

وبفضل الله ﷻ انتشرت الجمعيات الخيرية المهتمة بالأيتام في بلاد المسلمين وحظيت بعناية خاصّة من الحكام والمسؤولين ورجال الأعمال وعامة الناس وأوقف عليها المبالغ الكبيرة وأقيمت الأوقاف الضخمة كي تكون مدرّة عليها وعلى برامجها وأنشطتها، بل إن جمعية واحدة من هذه الجمعيات بلغ ما أنفقته على الأيتام خلال عشر سنوات ستمائة مليون ريال، وبلغ ريع أوقافها السنوي ثلاثة عشر مليون ريال(٣).

كما نلحظ –ولله الحمد– رغبة الكثير من المتبرعين في كفالة الأيتام، ودوام السؤال عنهم، وهذا يدلّ على حرص المسلمين على رعاية اليتيم كسبًا للأجر من الله ﷻ، ورغبة في أن ينالوا رفقة الرسول ﷺ في الجنة، والتي ليست بعدها رفقة ولا نعمة، نسأل الله ألا يحرمنا فضله.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٧/٤٤٤).

(٢) الأبيات للدكتور عبد الرحمن العشماوي وله دواوين مطبوعة.

(٣) كما جاء في تقرير الجمعية الخيرية لرعاية الأيتام (إنسان) الجمعية الخيرية لرعاية الأيتام (إنسان) عام ٢٠١٠م للاستزادة:

www.ensan.org.sa

فما أحوج أيتام المسلمين في أيامنا هذه للرّعاية والعناية وتربيتهم تربية إيمانية صالحة، وهذا لا يتحقق إلا بتوفير المؤسسات التي ترعاهم وتعتني بهم وتكون قائمة على أوقاف خيرية يصرف من ريعها وغلّتها على هذا الباب العظيم من أبواب الخير والإحسان.

وليبشر من سعى في هذا المعروف وشارك في كفالة الأيتام بالبركة في الرزق والسعة فيه والرضا والأنس بطاعة الله ﷻ:

قال الشاعر:

يا كافلَ الأيتامِ، كأسُكَ أصبحتْ ... مَلأَى، وصار مزاجُها تسنيمًا

ولسوف تُبصر في فؤادكَ واحةً ... للحبِّ، تجعل نَبْضَه تنغيمًا

ولسوف تبصر ألفَ ألفِ خميلةٍ ... تُهديك من زَهْر الحياةِ شَميمًا

ولسوف تُسعدكَ الرياضُ بنشرها ... وتريكَ وجهًا للحنانِ وسيمًا

أبشرْ بصحبةِ خيرِ مَنْ وَطِىءَ الثرى ... في جَنَّةٍ كمُلَتْ رضًا ونَعيمًا

حَسْبُ اليتيم سعادةً أنَّ الذي ... نشرَ الهُدَى في الناسِ عاشَ يَتيمًا[1]

(١) الأبيات للدكتور عبد الرحمن العشماوي.

المجلس السادس والعشرون

الوقف ورمضان

المجلس السادس والعشرون

الوقف ورمضان

شهر رمضان شهر الفضائل والجود والبركات، شهر تفتّح فيه أبواب الجنان، وتغلّق فيه أبواب النيران، وتصفّد فيه الشياطين، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة، وغُلّقت أبواب النار، وصفدت الشياطين»[١].

وإن الوقف في سبيل الله ﷻ عمل جليل وقربة وطاعة عظيمة، ومما يزيدها أجرًا وثوابًا أن يتحيّن المسلم لها الأوقات الفاضلة والأزمان المحبوبة لله ﷻ كشهر رمضان المبارك وعشر ذي الحجة ويوم الجمعة ونحو ذلك.

وتأمل معي حال حبيبنا ﷺ قال ابن عباس ﷺ: كان النبي ﷺ أجود النّاس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كلّ ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة[٢].

يا باغي الخير هذا شهر مكرمة ... أقبل بصدق جزاك الله إحسانًا

أقبل بجود ولا تبخل بنافلة ... واجعل جبينك بالسجدات عنوانًا

وصدّق المال وابذل بعض أعطية ... لن يَنقص المال لو أنفقت إحسانًا[٣]

وإن من الأوقاف المتيسرة واليسيرة والتي ينتشر ذكرها والدعوة إليها في شهر رمضان المبارك المساهمة والمشاركة في أوقاف بعض الجهات الخيرية الموثوقة كالجمعيات الخيرية ومكاتب الدعوة والإرشاد وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم، بحيث تقوم الأوقاف على

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦)، مسلم (٢٣٠٨).

(٣) الأبيات لعبد الملك بن عواض الخديدي.

أعمال هذه المؤسسات الخيرية النافعة وبرامجها المتعددة، وقد تسمى هذه الأوقاف من باب التشجيع والتحفيز بأسماء جاذبة كوقف الوالدين أو وقف الأم أو وقف الأرحام وغير ذلك من الأسماء لأجل ترغيب الناس وحثهم وتشجيعهم على أن يوقفوا عن آبائهم وأمهاتهم، وإن كانت مصارفها متنوعة على حسب تخصص الجهة أو الجمعية أو المكتب.

وإن من الجميل أن يسهم المسلم بما يسر الله له في هذه الأوقاف فيشارك فيها بما فتح الله عليه بسهمٍ أو سهمين أو ثلاثة أو أكثر على حسب قدرته واستطاعته، ومما يميز هذه الأوقاف أنها صدقات خفيّة بين العبد وربه وبإمكانه أن يشارك فيها في لحظات يسيرة عبر وسائل الاتصال الحديثة، فهي -بإذن الله- أبعد ما تكون عن الرياء والسمعة أو المنّ والأذى.

وتتنوع أبواب الخير في شهر رمضان المبارك لذا فإنه يحسن بالمسلم أن يسهم في هذه الأبواب بقدر طاقته وقدرته فيُدخلها من ضمن مصارف الوقف الخاص به أو يوقف عليها أوقافا خاصة.

وإليكم بعض الأعمال الصالحة التي يحسن بالمسلم ألا تفوته المشاركة في شيء منها سواء بالصدقة المقطوعة أو بالوقف ..

* **تفطير الصائمين:** لما يترتب عليه من الأجور العظيمة يقول الرسول ﷺ: «من فطر صائما فله مثل أجره»[١] فماذا لو ساهم الإنسان بتفطير الصائمين في كل يوم من أيام هذا الشهر المبارك فكم سينال من الحسنات؟ وفضل الله واسع.
* **العمرة:** ولا شكّ أن أجر العمرة في رمضان عظيم كما قال ﷺ: «عمرة في رمضان تعدل حجة معي»[٢] فمن الجميل أن يساهم المحسن بتجهيز المسلمين

(١) أخرجه الترمذي (٨٠٧)، وابن ماجة (١٧٤٦)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (١٨٦٣)، مسلم (١٢٥٦)، وهذا لفظ البخاري.

لأداء العمرة لاسيما من لم يسبق له العمرة.

* **سقيا الماء:** ومن أجلّ القربات سقيا الماء للمصلين في رمضان في صلاة التراويح والقيام فأفضل الصدقة سقيا الماء كما أخبر المصطفى ﷺ(١).

* **تهيئة المساجد:** ومن الأعمال الصالحة في رمضان والتي يحسن بالمسلم العناية بها المساهمة في تهيئة المساجد وتأهيلها بالفرش والتكييف والإضاءة وتكميل احتياجاتها اللازمة من أدوات نظافة وتطييب ونحوها.

* **وقف المصاحف:** ومن هذه الأعمال الصالحة وقف المصاحف في رمضان لا سيما ورمضان شهر القرآن يقول الله ﷻ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

* **أعمال البر المتنوعة:** ومن الأعمال الصالحات التي يحسن القيام بها في رمضان إطعام الطعام والكسوة للمحتاجين وكفالة الأيتام ورعاية حلقات القرآن الكريم والمساهمة في دعم ورعاية البرامج الدعوية النافعة عبر وسائل الإعلام المختلفة المسموعة والمرئية والمقروءة، بل وعبر وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة والمساهمة في نشر الخير والدعوة إلى الله ﷻ.

(١) أخرجه أبو داود (١٦٨١)، النسائي (٦/٢٥٤-٢٥٥)، أخرجه ابن ماجة (٣٦٨٤)، وحسنه الألباني.

المجلس السابع والعشرون

دور الأوقاف في قيام الجهاد في سبيل الله ﷻ

المجلس السابع والعشرون

دور الأوقاف في قيام الجهاد في سبيل الله ﷻ

لعل من أوائل الأوقاف على الجهاد في سبيل الله ﷻ في تاريخ الإسلام هو ما أوقفه الصحابي الجليل (سيف الله المسلول) خالد بن الوليد ﷺ، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أما خالدٌ فإنكم تظلمون خالدًا، فقد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله»(١).

ولقد حذا حذو خالد ﷺ أبناء أمة الإسلام فجاهدوا الأعداء بأنفسهم وبذلوها رخيصة في إعلاء كلمة الله ورفع راية الدين والدفاع عن بلاد المسلمين وحياضهم، كما بذلوا أموالهم رخيصة في سبيل الله ﷻ ممتثلين قول الحق ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

وليس غريبًا أن يكون للأوقاف دور حربي وعسكري لصالح الأمة الإسلامية بعدما علمنا الدور العظيم والجوانب المتعددة التي تخدم فيها الأوقاف الحضارة الإسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل.

لقد أسهمت الأوقاف بدور فاعل في الميدان الحربي؛ حيث أعطت -بسخاء- كل الإمكانات المادية لتجهيز الجيوش وشراء الأسلحة.

ومن مصارف الأوقاف في خدمة الجهاد في سبيل الله ﷻ:

رعاية أمكنة المرابَطة على الثغور لمواجهة خطر الغزو الأجنبي على بلاد الإسلام، فقد

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٨)، مسلم (٩٨٣).

كانت هناك مؤسسات خاصة بالمرابطين في سبيل الله ﷻ يجد فيها المجاهدون كل ما يحتاجون إليه من السلاح والطعام والشراب، وكان لذلك أثر كبير في صدّ غزوات الرّوم أيام العباسيين وصدّ الغربيين في الحروب الصليبية عن الشام ومصر وغيرهما من بلاد المسلمين.

ومنها: وقف الخيول والسيوف والنبال وأدوات الجهاد على المقاتلين في سبيل الله ﷻ وقد كان لذلك أثر كبير في رواج الصناعة الحربية وقيام مصانع كبيرة، حتى كان الغربيون في الحروب الصليبية، يغدون إلى بلاد المسلمين -أيام الهدنة- ليشتروا منهم السلاح وكان العلماء يفتون بتحريم بيعه للأعداء.

وأُوقفت أوقاف خاصة على المجاهدين في سبيل الله ﷻ والمرابطين في ثغور الإسلام وكان يصرف من غلّتها عليهم وبذلك كان سبيل الجهاد ميسّرًا لكل مناضل عن حياض بلاد المسلمين يود أن يبيع حياته في سبيل الله ليشتري بها جنَّة عرضها السموات والأرض[١].

كما أُنشئت أوقاف خاصة بافتكاك الأسرى في بلاد الإسلام، حيث كانت متوافرة بالمناطق الساخنة لجهاد الصليبية، كما في بلاد المغرب والشام ومصر أيام الحروب الصليبية، وكان لهذه الأوقاف هيئة عامة تشرف عليها عرفت باسم «ديوان الأسرى»[٢].

هذه نماذج قليلة لدور الأوقاف في تجهيز الجهاد والمجاهدين بالسلاح والتمويل بالمال والتموين بالغذاء، مما جعل حضارة الإسلام تسبق غيرها بقرون كثيرة في صناعة السلاح ومصانعه التي أمدّتها الأوقاف بالمال الكثير لكي تلبي واجبًا دينيًا فرضه الله ﷻ على المسلمين مما كان له أعظم الأثر في عزّة المسلمين وغلبتهم على أعدائهم، والله المستعان.

---

(١) ينظر من روائع حضارتنا، لمصطفى السباعي ص٢٠٢.

(٢) الإحسان الإلزامي في الإسلام: وتطبيقاته في المغرب د. التجكاني محمد الحبيب. (ص٥٥٦).

ورحم الله القائل:

ملكنا هذه الدنيا قرونا ... وأخضعها جدود خالدونا

وسطرنا صحائف من ضياء ... فما نسي الزمان ولا نسينا

حملناها سيوفا لامعات ... غداة الرَوع تأبي أن تلينا

إذا خرجت من الأغماد يوما ... رأيت الهول والفتح المبينا

وكنا حين يرمينا أناس ... نؤدبهم أباة قادرينا[(١)]

إن الجهاد في سبيل الله من أعظم أسباب عزّة المسلمين وغلبتهم وهو امتثال لأمر الحق ﷻ للأمة بالإعداد قال ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ولما تخاذل المسلمون في الأزمان المتأخرة ورضوا بالدّون وتتبعوا الدرهم والدينار سلط الله عليهم أعداءهم مصداقا لقول حبيبنا ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[(٢)].

وإن الأمة الإسلامية اليوم في أحلَك أيامها فقد قطّعت أوصالها وتطاول عليها أعداؤها وتفرّق أهلها -إلا ما رحم ربي- فلم يَعدْ من يسمع لأنّات الثّكالى وصرخات اليتامى واستغاثات العذارى، والله المستعان، وكأن أبا البقاء الرّندي ﷺ يحكي حالنا يوم قال عن بلاد المسلمين المسلوبة (الأندلس):

أعندكم نبأ من أهل أندلس ... فقد سرى بحديث القوم ركبانُ

---

(١) الأبيات لهاشم الرفاعي.

(٢) رواه أبو داوود (٣٤٦٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١).

كـم يستغيث بنـا المستضـعفون وهـم ... قتلـى وأسـرى فمـا يهتـز إنسـانُ

مـاذا التقـاطع في الإسـلام بيـنكمُ ... وأنـتم يا عبـاد الله إخـوانُ

ألا نفـوس أبيّـات لهـا همـم ... أمـا علـى الخـير أنصـار وأعـوانُ

يا مـن لذلـة قـوم بعـد عـزهمُ ... أحـال حـالَهمُ جـورٌ وطغيـانُ

بالأمـس كـانوا ملوكًـا في منـازلهم ... واليـوم هـم في بـلاد الكفـر عُبـدانُ

لمثـل هـذا يـذوب القلـب مـن كمـدٍ ... إن كـان في القلـب إسـلامٌ وإيمـانُ

ولكنّ الأيام دول وإن دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة، وإن الخير باق في أمة محمد ﷺ وهي موعودة بالنصر والعزّ والتمكين والنصرة في البلاد متى عادت إلى ربها وسنة رسولها ﷺ ونصرت دينه، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

اللهم أصلح أحوال المسلمين وردّنا إليك ردًّا جميلًا.

المجلس الثامن والعشرون

من أخطاء الواقفين

المجلس الثامن والعشرون

من أخطاء الواقفين

الوقف في سبيل الله ﷻ باب عظيم من أبواب الخير فهو من أرجى الصدقات وأعظمها وأكثرها دواما واستمرارا، ولقى الوقف الإسلامي إقبالًا كبيرًا من المسلمين ورغبة في المشاركة في صوره ووسائله، وهذا هو المشهد العام ولله الحمد والمنة، إلا أنه يلاحظ من بعض المسلمين عزوف عن الوقف وترك له في الأزمان المتأخرة، ولعل من أبلغ أسباب ذلك:

الإقبال على الدنيا والغفلة عن الآخرة وتقديم الفانية على الباقية قال ﷻ ذامّا أهل هذا المسلك: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى:١٦-١٧].

وَغُـرورُ دُنْيـاكَ الـتي تَسْـعَى لهـا ... دارٌ حَقِيقَتُهـا متـاعٌ يَـذْهَبُ

والليـلُ فـاعلم والنهـارُ كلاهمـا ... أَنْفَاسُـنا فيهـا تُعَـدُّ وَتُحْسَـبُ

وجميـعُ مـا حَصَّـلْتَهُ وَجَمَعتَـهُ ... حَقًّـا يَقِينـا بَعْـدَ مَوْتِـكَ يُنْهَـبُ

تَبًّـا لـدارٍ لا يَـدُومُ نَعيمُهـا ... ومَشـيدها عمـا قليـلٍ يخـرب[1]

ومن أسباب العزوف عن الوقف بعض التصورات والاعتقادات الخاطئة كتخوف بعض المسلمين من تسلّط الجهات الرسمية على الأوقاف ووضع يدها عليها، وهذا التصور وإن كان ينطبق على بعض بلاد المسلمين إلا أن أغلب البلاد ومنها بلادنا -حرسها الله- في منأى عن مثل ذلك بل نصّت الأنظمة واللوائح للأوقاف على عدم تدخل الدولة أو الجهات الرسمية في الأوقاف ما لم يحدث لها تعثّر أو إهمال وتفريط حماية لها وحفظا[2].

---

(١) الأبيات لعلي بن أبي طالب ﷺ.

(٢) ينظر: نظام هيئة الأوقاف في المملكة العربية السعودية.

ومن أسباب العزوف عن الأوقاف -أيضًا- خوف بعضهم من أن يفتقر في المستقبل ويتصور أنه يفوت عليه الانتفاع بالوقف في حال الحياة والصحيح هو أنه يجوز للواقف اشتراط أن ينتفع هو وذريته من ريع الوقف في حال الحياة بمأكل ومشرب ومركب ومسكن وإهداء ونحو ذلك.

ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض الواقفين ممن أنعم الله عليهم بالخير الوفير أنه -ومع ما عنده من الخير والأموال الطائلة- إذا رغب في الوقف جعل وقفه على ذريته، وحرم منه غيرهم من أهل الحاجات، وربما اختلفت الذرية بعد ذلك في هذا المال وتنازعوا عليه، بل ربما تقاسموه وتوارثوه والله المستعان، كما هو حاصل في كثير من الأوقاف الذريّة القديمة.

ومن الأخطاء الفادحة أن يكون الإنسان ضعيف الحال أو ذا حاجة وعيال ثم يوقف ماله كلّه أو سكنه الذي لا يجد غيره، ويضيّع أهله ومن يعول، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩] وقال ﷺ: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت»(١).

وفي الصحيحين عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعودني عام حجّة الوداع من وجع اشتدّ بي، فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة، أفأتصدّق بثلثي مالي؟ قال: «لا» فقلت: بالشطر؟(٢) فقال: «لا» ثم قال: «الثلث والثلث كبير -أو كثير- إنك أن تَذرَ ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في فِيّ امرأتك» فقلت: يا رسول الله،

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٩٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩١٣١-٩١٣٣) من حديث عبدالله بن عمرو ﷺ، وحسنه الألباني وأخرجه مسلم (٩٩٦) بلفظ: «كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته».

(٢) الشطر: النصف.

أُخلّف بعد أصحابي؟[١] قال: «إنك لن تخلّف فتعمل عملًا صالحًا إلا ازددت به درجة ورفعة، ثم لعلك أن تخلّف حتى ينتفع بك أقوام، ويُضر بك آخرون[٢] اللهم أمضِ لأصحابي هجرتهم، ولا تردّهم على أعقابهم ...»[٣].

فتأمل كيف عبّر له ﷺ بلفظ الورثة ولم يقل أن تدع ابنتك، مع أنه لم يكن له يومئذ إلا ابنة واحدة؛ لأنه ﷺ اطلع على أن سعدًا سيعيش ويأتيه أولاد غير البنت المذكورة فكان كذلك، ووُلد له بعد ذلك أربعة بنينَ[٤] منهم راوي الحديث وهو عامر بن سعد رضي الله عنهم ويؤخذ من هذا الحديث أنه يجب على المسلم أن يُحسن الظن بربه ﷻ ويثق بوعده ويؤمن بقضائه وقدره.

ومن الأخطاء أن يوقف المسلم لله ﷻ مالًا أو عقارًا ثم لا يثبته لدى المحاكم الشرعية، ولا يشهد عليه أو لا يحدد المال أو العقار الموقوف مما يتسبب في الخلاف بعد وفاته في هذا المال الموقوف، وربما لم يُثبت هذا الوقف فيتقاسمه الورثة جهلًا منهم أو إهمالًا أو تقصيرًا وتفريطًا، والله المستعان.

ومن أبرز الأخطاء أن يجعل الواقف مال الوقف في نسبة مشاعة في أملاكه مما يتسبب في تأخير إثبات الوقف وتخليصه من تركته في حال حياته أو بعد مماته، والأولى أن يوقف أعيانا محددة معلومة كمصنع أو مزرعة أو شركة أو عمارة، ونحو ذلك.

ومن الأخطاء التي يقع فيها بعض الواقفين أنهم لا يحددون المصارف لأوقافهم، مما يجعلها خاضعة لاجتهاد الناظر، وربما فرّط في ضبط ذلك أو قصّر أو تدخل بعض الورثة فصرفوا الوقف من خيريّ إلى ذرّي ونحو ذلك.

---

(١) أُخلّف بعد أصحابي: أبقى في مكة وينصرف معك أصحابي من المهاجرين وكان مرضه في مكة.

(٢) ويُضر بك آخرون أي: الكفار الهالكون على يديك.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٩٥)، مسلم (١٦٢٨).

(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٣٦٥/٥).

ومن الأخطاء ألّا يُحدّد الواقف أجرة لناظر الوقف مما قد يتسبب في فوات بعض مصالح الوقف وعدم التفات الناظر إليه أو انشغاله عنه بمصالحه الخاصة أو أن يطمع الناظر فيأخذ فوق ما يستحقه، والأولى أن يحدّد نسبة أو مبلغًا ثابتًا بالمعروف[١] يعين الناظر على القيام بالواجب وأداء الأمانة كما أمر الله ﷻ.

ومن الأخطاء أن يتساهل الناظر في حق الوقف فيبخسه ثمنه ولا يؤجره بالأجرة المعتادة كأجرة المثل أو يتساهل مع من يتعدى على حقوق الوقف ويأخذ شيئا منها، والواجب الاحتساب على الأوقاف ورعايتها والاهتمام بها وصيانتها وإبلاغ الجهات الرسمية على من يعتدي عليها أو يأخذ شيئًا من ريعها بدون وجه حق.

ومن الأخطاء الشائعة أن يقوم الناظر بالإفادة من ريع الأوقاف بطريق غير مباشر كمحاباته لأقاربه أو أصحابه، والحقّ أن يمنع من هذه التصرفات سدًا للذّريعة وتحوّطاً لمال الوقف.

ومن الأخطاء أن يستدين الناظر على الوقف أو أن يرهن الوقف أو أي عين من أعيانه؛ لأن هذا التصرف قد يتسبب في ضياع أملاك الوقف وتعطيلها أو يعرضها للمخاطرة مما يؤدي بها إلى الخسارة والنقص أو التلف.

وبالجملة فعلى الواقفين ونظار الأوقاف أن يسعوا جاهدين في طلب العلم ومعرفة أحكام الوقف وما يتعلق به من مسائل حتى لا يقعوا في المحاذير والمخالفات الشرعية وحتى يقوموا على الوقف بأحسن الأساليب وأنفع الطرق.

(١) أي: ما يتوافق مع العرف السائد في بلده.

المجلس التاسع والعشرون

إخفاء الصدقات وعدم المنّ بها

المجلس التاسع والعشرون

إخفاء الصدقات وعدم المنّ بها

أمر الله ﷻ المؤمنين بالعمل الصالح والتقرّب إليه فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧].

ورغّب الرسول الكريم ﷺ في أعمال الخير والتقرب إلى الله ﷻ ومن أجلّ ذلك الوقف في سبيل الله ﷻ وبذل الصدقات للمحتاجين من المسلمين، عن أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وتُعين الرَّجُلَ في دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عليها أو تَرْفَعُ لهُ متَاعَهُ صَدَقَةٌ، والْكَلِمةُ الطَّيِّبةُ صَدَقَةٌ، وبكُلِّ خَطْوَةٍ تَمشِيها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وتُمِيطُ الأَذَى عنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»(١).

كما جاء الحث القرآني الكريم على إخفاء الصدقات والإسرار بها ما لم يكن في إظهارها مصلحة راجحة كالدلالة على الخير وترغيب الناس فيه قال ﷻ: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [البقرة: ٧١].

وجاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»(٢)، وتأمل معي كيف أثنى ﷺ على من يخفي الصدقة حتى عن بعض أعضائه، وهذا من لطيف التعبير النبويّ، وفيه إشارة إلى إخفاء العمل الصالح عن أقرب الناس إلى المسلم كالوالدين والزوجة والأولاد،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٧)، مسلم (٧٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠)، مسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

والله المستعان.

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يحرصون على إخفاء أعمالهم الصالحة كالصدقات على الأرامل والأيتام وإليكم هذه القصة لفاروق الأمة ﷺ:

قال أسلم مولى عمر ﷺ: «خرجت مع عمر ليلة من الليالي خارج المدينة، فلاحت لنا نار من بعيد، فقال عمر: يا أسلم! هؤلاء ركب قد قصُر بهم الليل، انطلق بنا إليهم، فإذا امرأة معها صبيان لها، وإذا الصِّبية على النار يتضاغون حولها، قال لها عمر: ما هذه النار؟ وما هذا القدر؟ قالت: أريد أن أعلل الصِّبية حتى يناموا؛ لأن الجوع والبرد أقلقهم عن النوم فالله بيننا وبين عمر، فبكى عمر ﷺ ورجع من ساعته إلى دار الدقيق، فأخرج عِدلًا فيه دقيق وجِرابًا فيه شحم، فحملهما على ظهره، ثم أعطاها نفقة، والمرأة لا تعرفه» وجاء أنها قالت له: أنت خير من عمر، ﷺ عن عمر[١].

وجاء أنه ﷺ كان يوقد النار للفقراء كذلك ويصنع لهم الطعام بنفسه :

ومـــن رآه أمـــام القـــدر منبطحـــا ... والنـــار تأخـــذ منـــه وهـــو يـــذكيها

وقـــد تخلـــل في أثنـــاء لحيتـــه ... منهـا الـدخان وغـاب فـوه في فيهـا

رأى هنـــاك أمـــير المـــؤمنين علـــى ... حـــال تـــروعُ لعَمـــر الله رائيهـــا

يســتقبل النـــار خـــوف النـــار في غـــده ... والعين من خشية سالت مآقيهـا[٢]

ولا يزال الخير في أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة، فقد أوقف أحد الأثرياء الأخفياء كثيرًا من أمواله في سبيل الله ﷻ ولم يشتهر ذلك عنه ولم يعرف به حتى توفي ﷺ فأظهر الله ﷻ ما كان يخفيه من أعمال صالحة وأوقاف ومساجد بناها في سبيل الله ﷻ، حتى ذكر بعض المهتمين: أنه بنى أكثر من ألف مسجد في أنحاء العالم ولم يُسمَّ منها مسجدٌ

---

(١) رواه الدينوري في المجالسة (٢/٨٤ ح:٢١٦)، وعبد الله بن أحمد في الفضائل (١/٢٩٠ ح: ٣٨٢) بسند حسن.

(٢) الأبيات من القصيدة العمرية لحافظ إبراهيم.

واحدٌ باسمه -غفر الله له وأعظم أجره وجزاه بالحسنى- بل أفاد بعض المقربين منه أنه كان يحذّرهم تحذيرًا شديدًا من إخبار الناس بعمله أو ذكر ذلك في مجلس أو محفل أو صحيفة، فلم يُعلم ذلك عنه إلا بعد وفاته وهذا من إخلاصه وحكمته ﷺ «فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة»[١] كما قال ابن مسعود ﷺ.

فأين حال هذا الرجل الصالح من أحوال بعض من يساهمون في أعمال البر ثم يشهرون ذلك ويذيعونه في الملأ بقصد حبّ الشهرة والتباهي والتفاخر؟! والله المستعان.

كما أنه لا بأس بإظهار العمل الصالح إذا كان لمصلحة راجحة كالدلالة على الخير وتشجيع الناس عليه، كما قال ﷻ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ...﴾ بل إن ذلك من سنّ السنة الحسنة في الإسلام، عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصّوف فرأى سوء حالهم -قد أصابتهم حاجة- فحثّ الناس على الصّدقة فأبطؤوا عنه حتى رُئي ذلك في وجهه، ثم إن رجلا من الأنصار جاء بِصُرّة من ورِق ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عُرف السرور في وجهه، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإسلام سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِها بعْدَهُ كُتِب لَه مثْلُ أَجْر من عَمِلَ بِهَا وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، ومَنْ سَنَّ فِي الإسلام سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وزر من عَمِلَ بِهَا ولا يَنْقُصُ من أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[٢].

ومما ينافي الإخلاص المنُّ والأذى في النفقة فهو من مبطلات الصدقة ومن محقات بركتها قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٣٠)، والطبراني في«الكبير» (١٥٢/٩)، وأبو نعيم في«الحلية» (١٣٦/١) وإسناده صحيح، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٨/١): «ورجاله رجال الصحيح».

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٧).

المجلس الثلاثون

رسائل .. قبل أن توقف

المجلس الثلاثون

رسائل .. قبل أن توقف

الوقف في سبيل الله ﷻ عبادة وقربة يتقرب بها العبد إلى الله ﷻ لذا فإنه يحسن بالمسلم قبل أن يشرع في هذه العبادة الجليلة أن يتهيأ ويستعد ببعض الأمور ومنها:

١. أن يجاهد نيته في أن يكون وقفه خالصا لوجه الله ﷻ لا يريد به رياءً ولا سمعة وليجعل قدوته في ذلك الخليفة الراشد، صديق الأمة رضي الله عنه الذي أنزل الله ﷻ فيه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧-٢١].

وليحذر الواقف من فقدان الإخلاص فيحصل له الوعيد الشديد الذي جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ في ذكر أوّل من تسعّر بهم النار يوم القيامة -والعياذ بالله- ومنهم: «.. رَجُلٌ وَسّعَ الله عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المالِ كُلّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إلاّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، ولكنك فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمّ أُلْقِيَ فِي النّارِ»[(١)]. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٢. من الأمور المهمة التي ينبغي للواقف الاهتمام بها قبل أن يوقف أن يستشير أهل العلم والفضل وأهل الدراية والخبرة في شؤون الوقف وما يتعلق به من الناحية الشرعية ومن النواحي التنظيمية والإدارية، ومن النواحي المالية والاقتصادية، ونحو ذاك، على حدّ قول الأول:

الرأي كالليل مُسودٌ جوانبه ... والليل لا ينجلي إلا بمصباح

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح[١]

٣. ومنها أن يثبت وقفه لدى جهات الاختصاص في المحاكم الشرعية فهذا أفضل وأحفظ للوقف، فإن لم يتيسر فليكتب الوثيقة بيده بعد أن يستشير أهل الخبرة، ثم يشهد عليها الشهود العدول أو يستعين بمكاتب المحاماة أو بمراكز الاستشارات الوقفية.

٤. على المسلم أن يولِّ على وقفه الناظر الأمين الذي يعرف فضله وعدله وأمانته، وفي حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «الخازن المسلم الأمين، الذي يُنفذ -وربما قال: يُعطي- ما أمر به كاملا موفرا طيبة به نفسه، فيدفعه إلى الذي أُمر له به أحد المتَصَدِّقَينِ»[٢].

٥. يحسن بالمسلم كذلك أن يعتني بمصارف الوقف فيختار المصرف الأنفع والأحوج للمسلمين وأن يجعل في نصّ وثيقته ما يفيد بتغير المصرف وفق حاجة المسلمين في كل زمان.

٦. ينبغي للمسلم ألا يَغفل عن قرابته المحتاجين فالأقربون أولى بالمعروف، وجاء في حديث أبي طلحة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: «وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقال أبو طلحة ﷺ: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[٣].

٧. ينبغي للمسلم إذا أثبت وثيقة وقفه وأشهد عليها أن يحفظها في مكان آمن ويخبر بموضعها من يثق فيه من أهل قرابته وصحبته وأن يجعل لها عدّة نسخ كي يكون

---

(١) ينظر: لأحمد قبش بن محمد نجيب.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣١٩)، مسلم (١٠٢٣).

(٣) سبق تخريجه.

أحفظ لها وأبقى مع مراعاة تدوين تاريخها.

٨. يحسن بالمسلم أن يتعلّم أحكام الوقف والوصية ومسائلهما حتى لا يقع في المحذور الشرعي ولأجل أن تكون وثيقة الوقف أو الوصية موافقة لما شرعه الله ورسوله ﷺ.

٩. كما ينبغي للمسلم أن يُضمن وصيّته لورثته الوصية بتقوى الله ﷻ والحرص على البر والصلة والإحسان وأن يوصي بأولاده من بنين وبنات خيرًا وأن يختار الوصيّ التقيّ الذي يخاف الله ويتقيه ويرعى حاجاتهم ويقوم عليهم بما يفيدهم وينفعهم في الدنيا والآخرة.

١٠. على المسلم أن يستعدّ للقاء الله ﷻ فهو لا يدري متى يفجأه الأجل ويباغته هاذم اللذات ومفرق الجماعات.

والموفق من جاهد نفسه في فعل الخير فأعانه الله عليه وسدده، كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] نسال الله ﷻ أن يجعلنا منهم.

ونختم بهذا الحديث النبوي العظيم الذي يلخّص حال المسلم في هذه الحياة الدنيا، يقول حبيبنا ﷺ فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»[1].

أما الأهل فسيعودون إلى معترك الدنيا وربما نسوا ميتهم وانشغلوا بتقسيم تركته وأمواله التي ورّثها لهم، والله المستعان.

وأما ماله فعليه غرمه وحسابه وسيُسأل عنه مِمَّ اكتسبه وفيمَ أنفقه، ولورثته غنمه فينتقل إلى ملكهم وينعمون به فيما تبقى من أعمارهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

ولن يبقى معه في قبر إلا عمله إن كان صالحا فليبشر وإن كان غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ولا يهلك على الله إلا هالك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وصدق الشاعر:

ومـــا المـــال والأهلـــون إلا ودائـــعٌ ولا بـــد يومًـــا أن تـــرد الودائـــع[١]

اللهم وفقنا لهداك واجعل عملنا في رضاك، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

والله أعلم وأحكم وصلّى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

بقلم:

أبي عبداللطيف

عبدالله بن عبداللطيف الحميدي

مساء الأحد لتسع عشرة ليلة خلت من شهر ذي القعدة للعام السابع والثلاثين بعد الألف والأربعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل صلاة وأتم تسليم.

(الرياض)

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامري.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	١
السيرة الذاتية للمؤلف	٢
الإهـــــداء	٣
لطائف الأوقاف	٤
المقدمة	٥
المجلس الأول: الإخلاص	١١
المجلس الثاني: الحياة الحقيقية	١٧
المجلس الثالث: الوقف تجارة مع الله	٢٣
المجلس الرابع: مشروعيةُ الوقف والحكمةُ منه	٢٩
المجلس الخامس: أركان الوقف	٣٧
المجلس السادس: أنواع الوقف	٤٥
المجلس السابع: الناظر الأمين	٥١
المجلس الثامن: بين الوقف والوصية	٥٧
المجلس التاسع: الأدوار العامة للوقف الإسلامي	٦٣
المجلس العاشر: دور الوقف في تلبية حاجات المجتمع	٦٩
المجلس الحادي عشر: الوقف شاهد على حضارة المسلمين وعزّهم	٧٥
المجلس الثاني عشر: استمرار الوقف وعظيمُ أثره	٨١
المجلس الثالث عشر: من أوقاف الصحب الكرام ﷺ	٨٩
المجلس الرابع عشر: وقف الفاروق عمر	٩٥
المجلس الخامس عشر: الوقف على القرآن الكريم	١٠١
المجلس السادس عشر: الوقف على العلم	١٠٧
المجلس السابع عشر: الوقف على الدعوة إلى الله ﷻ	١١٣
المجلس الثامن عشر: بناء المساجد لله ﷻ	١١٩
المجلس التاسع عشر: وقف الإسكان الخيريّ	١٢٥
المجلس العشرون: الوقف الزراعيّ	١٣٣
المجلس الحادي والعشرون: الوقف الصّحيّ	١٣٩

الموضوع	الصفحة
المجلس الثاني والعشرون: الوقف الإعلاميّ	١٤٥
المجلس الثالث والعشرون: وقف اللّاعي	١٥٣
المجلس الرابع والعشرون: الوقف اجتماعيًا	١٥٩
المجلس الخامس والعشرون: الوقف على الأرامل واليتامى	١٦٥
المجلس السادس والعشرون: الوقف ورمضان	١٧٣
المجلس السابع والعشرون: دور الأوقاف في قيام الجهاد في سبيل الله ﷻ	١٧٩
المجلس الثامن والعشرون: من أخطاء الواقفين	١٨٥
المجلس التاسع والعشرون: إخفاء الصدقات وعدم المنّ بها	١٩١
المجلس الثلاثون: رسائل .. قبل أن توقف	١٩٧
الفهرس	٢٠٣
فهرس المحتويات	٢٠٥